

حسين عبد الله باسلامه

الأستفلا

في نظر أعلام الغرب



نظرية واشنطن في القرآن

نظرية نابليون

(ان العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لا

ريه درابو
الاسلام جاء به
والمعارف ومد

نظرية فولتير

بالمذاذ آخر الملوك
الوثير) و(كافين) كلاهما لا يصنع
ان محمد ﷺ قد بلغ من الاصلاح

الاسلام في نظر

جيبون

دوزي في الاسلام

ان محمد ﷺ نبي و

الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

جدة، المملكة العربية السعودية

حسين عيسى دباسلامه

الأعلام

في

نظراًعلام الغرب

الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

جدة، المملكة العربية السعودية

الناشر

تَهَامَة

جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب. ٥٤٥٥ - هاتف ٦٦٦٦٦٦٦٦

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأعلام

في

نظراعلام الغرب



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله مدبر الكائنات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، ورسول الهدى والداعي لدين الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بنظام العالم والأمم وبالمدينة الراقية، والعمران البهيج الذي مبناه على العدل والحضارة النضرة الراقية والحرية الطاهرة النقية، والاجتماع الذي لا تشوبه الفوضى والسياسة البريئة من كل مكر، وخديعة، ومواربة، ومداينة، وتضليل والمنقذ للبشر من الهمجية، والتوحش، والدعارة، وفساد الأخلاق وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله، واستضاءوا بنوره، وضحووا بحياتهم في نصرة الحق، واقامة العدل حتى اسسوا دعائم الحضارة النضرة على انقاض الفوضى البائدة، في مشارق الارض ومغاربها، وفي كل حذب وصوب، أينما حلوا وارتحلوا.

المقدمة

أما بعد فبأني قد رأيت سبيل الاحاد والتشكيك أخذ يتسرب إلى أفئدة بعض الناشئة الاسلامية، وتيار الحيرة والغباوة ابتدأ يجترق عقول البسطاء وقصار المدارك من الناس، وصار بعض من قلد الملاحدة والمشككين تقليداً أعمى يتفضفض ببعض الكلمات التي تلقاها كتلقي (البيغاء) وامتلاء دماغه بها امتلاء الاسطوانة من كتب الملاحدة، وهو لا يدري ما هي الحقيقة ولا يفهم شيئاً من قواعد الايمان الصحيح ثم أخذ يرفع عقيرته بما تلقاه من غير أن يدرك مقاصدهم وانما أراد أن يثبت للعالم أجمع أنه على جهل عظيم، وكفر صريح، والحاد ممقوت، فن الكلمات التي يتفوهون بها: (ماذا عمل محمد من المدنية والعمران، ولو وجد محمد في هذا العصر الذي هو عصر الحرية والتنوير والمدنية، ماذا كان يعمل؟ وهل يستطيع أن يعمل شيئاً؟ وان ما جاء به محمد في ذلك العصر يتناسب مع عقول أولئك الاعراب الجهلاء، وانه لا يصلح لهذا العصر الذي قد بلغ أهله أرقى ما يتصوره العقل من الحضارة والمدنية والعمران) وغير ذلك من الكلمات الجوفاء الدالة على تعمق القائلين بها الى أبعد مدى في الجهل، والحيرة، والكفر، والاحاد، حتى من شدة تعمقهم أصبحوا بعيدين عن تصور ما جاء به سيد البشر، ومنقذ العالم من الممجية والفوضى هلى الله عليه وسلم، وما عمله من الخير العميم لكل من نور الله بصيرته.

وحيث إن هؤلاء ومن على شاكلتهم في نظر كل عاقل بصير أحقر من أن يتصدى للرد عليهم، أو يلتفت الى ترهاتهم، ولم آت هنا بما أتيت به ردا عليهم، وانما دعاني الى تحرير هذه الوريقات هو الحرص على بعض الناشئة الاسلامية التي قد رمتهم الأقدار في المدارس والأندية والمجتمعات التي يتولى التدريس والمحاضرة فيها أمثال هؤلاء ومن على شاكلتهم في البلدان التي قد أعمى أهلها التفرنج ولأجل أن يكون النشء على علم تام بما عمله المنقذ العظيم ورسول الرحمة الكبير صلى الله عليه وسلم فقد ألقت كتاب (حياة

سيد العرب، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) في أربعة أجزاء، وتابعت بتاريخ الخلفاء الراشدين في أربعة أجزاء، وكذلك تاريخ خلفاء بني أمية ومعهم ابن الزبير في أربعة أجزاء، ثم بتاريخ خلفاء بني العباس في أربعة أجزاء، وملوك الطوائف في أربعة أجزاء ولم أضمنها سوى السياسة والاجتماع فقط، وتركت باقي ما جاء به سيد العرب من التشريع، والفقه، والمعجزات، والتوحيد، والحكم والمواعظ، والطب، والفلك، وما في معنى ذلك، حيث قد صدر فيها مما دمج يراع جهابذة العلماء مئات الآلاف من الأجزاء والمجلدات وهي كفيلة بما تضمنته مما يسد حاجة كافة البشر.

وقد صغته بما اصطفيته من اصح المصادر التي دمجها يراع أبطال الكتاب، والمؤلفين والمصنفين، الذين هم اعلام الاسلام من مفسرين ومحدثين، وفقهاء ومؤرخين، وشراح ومحدثين، ولغويين، وفلاسفة ومفكرين، وسياسيين واداريين، واجتماعيين، وهي تربو على اكثر من مئتي مؤلف. وجعلته سلس العبارة، سهل القراءة تتسنى دراسته لكل من عرف القراءة من عوام المسلمين، بغير أن يضطر لفهم العبارة الى الرجوع لكتب اللغة، أو الشراح، أو المفسرين، وذلك لأجل أن يقف القارئ بسهولة على حياة منقذ الأمم من عرب وعجم صلى الله عليه وسلم من الجهل، والضلال، والاستعباد، والفوضى، والاعتساف، ويعلم كيف كانت طريقته في الاصلاح، وكيف استطاع أن ينقذ البشر من الممجية، وكيف كابد في ذلك، ويقف على ما ناله من الازي، والبلاء والمحن حتى انتشل أمته من هاوية الشقاء، وعرج بهم الى أوج السعادة والارتقاء، الى ان بلغت الأمة المحمدية أعلى قمم الرقي وال عمران، ويعلم أيضا أنه قد تخرج من مدرسته المحمدية ممن تغذى من ارشاداته وتعاليمه من أولئك الاعراب الاميين سكان قلب الجزيرة، وانحائها، وفلواتها رجال قادوا الامم في الحروب، والسياسة، والعلم والمدنية، وال عمران، والحضارة، والاجتماع، حتى وصل الاسلام الى انحاء المعمورة، وبلغ العالم الاسلامي مئات الملايين، ويعلم ايضا أن أساس الرقي الاسلامي كان مبني على ربط قلوب المسلمين ببعضها ببعض برباطة الايمان الصحيح الذي كان دستور القرآن المجيد، ويظهر له من دراسة ذلك أن لا حياة للمسلمين الا اذا سلكوا هذا الطريق المستقيم وطهروا قلوبهم من الخرافات،

والبدع، والضلال، والزيف، والاحاد، والتشكيك و يعلمون أن ذلك لا يأتي عفواً بغير اجتهاد أنفسهم على التعلم والتعليم وتتبع سيرة ومنهج سيد المرسلين وامام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتمشي على مبادئه بقدوم ثابتة، وقلب مطمئن بالايان الصحيح، وفكر ثاقب مستضيء بنور الهداية، وعقل نقى من الغباوة والجمود والجهل المركب، فتى عمل المسلمون بذلك وسلوكوا هذا الطريق المستقيم فلا شك انهم ينهضون من كبوتهم ويفيقون من غفلتهم، وينتشلون من عثرتهم، ويتخلصون من نكبتهن، ويصبحون سادة بعد ان صاروا مستعبدين، وأمرأ بعد ان كانوا مأمورين، وقواد بعدما صاروا مقودين، وعلماء بمصيرهم بعد أن اصبحوا جاهلين، ومعلمين بعد ان كانوا تلامذة، وأئمة متبعين في كل علم وفن بعد أن صاروا مقلدين في كل شيء تقليداً اعمى بغير أن يعقلوا بالشيء الذي قلدوا فيه هل هو مضر أم مفيد.

وربما يتبادر للقارئ أن الامر قد فات، أو كما يقوله بعض المتقاعدين عن النهوض ان هذا آخر الزمان ولا يمكن ادراك ما فات، فالأمر سهل لأن باب الهداية مفتوح على مصراعيه، وسبيل الوصول الى الرشاد سهل السلوك، وما على رائد الخير والفلاح والنجاح الا متابعة ما جاء به نبي الرحمة، ورسول السعادة صلى الله عليه وسلم، وهو فائض وكثير ومتيسر في كل وقت وحين وهو موجود في كل عصر ومصر.

واما اذا تمادى المسلمون في غفلتهم، وتعمقوا في غرورهم وسبحوا في بحار جهالتهم، وتقاعدوا عن سلوك سبيل الهدى والرشاد، واتبعوا أقوال الملاحدة والمشككين ومن على شاكلتهم أولئك الذين هم العقبة الكؤود في سبيل اصلاح الناشئة الاسلامية، والذين يصرفون وجوههم عن طريق السعادة ويسمونها لهم بأساء منفرة: كالرجعية والتأخر الى الوراء والهمجية، وغير ذلك مع انهم بذلك اجدر فلا شك انهم من الهالكين حيث لا نجاح للمسلم ولا سبيل الى السعادة الا بتتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من بعده ومن حذا حذوهم من اعلام المسلمين.

ولا يفرنك ايها المسلم الغيور على دينك، ونيبك، وكتابك (القرآن المجيد) وجامعتك الاسلامية، ما يقوله حشرات الاحاد أولئك الذين نشأوا في مستنقع السفالة، والغواية، والجهالة، والبذاءة والغباوة، والسفسطة، والغرور، والحيرة، والتشكيك،

والواقحة، والخسة، والحطة، والدناءة، من أن سيد البشر محمداً صلى الله عليه وسلم
انما جاء في عصر الهمجية، ولو جاء في هذا العصر الذي هو عصر المدنية، لما أمكنه ان
يعمل شيئاً . فهؤلاء وأمثالهم لا يعلمون ما عمله النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمكنهم
ان يعلموه لأنهم غارقون في بحار العماوة، ومستنقعات الفساد، فكيف — وحالتهم
هذه — يمكنهم ان يعلموا ، او يفهموا او يشعروا بما عمله سيد الكائنات صلى الله عليه
وسلم من الخير العيم لسكان المعمورة، وما سيعمله لو وجد الآن؟ فينبغي على كل
مسلم ان ينبذ هؤلاء من البشرية وان يطمس وجوههم بالقار لأنهم من الحشرات التي
نبتت من القذارات وليس لها مصلحة غير الفتك في اعصاب البسطاء والجهلاء
والاغبياء ومن على شاكلتهم، والدليل على ذلك انك تراهم ساخطين على آبائهم
لكونهم كانوا من المسلمين وسموهم بأسماء المسلمين، ولم يفهموا بأنهم لم يكونوا مسلمين
ولو ان آبائهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء بعض المسلمين لان الاسلام له شروط، وله
عقائد، وله تشريع خاص، فلا يكون الشخص مسلماً الا اذا كان فيه شيء من
صفات الاسلام . فليت آبائهم حين سموهم بأسماء المسلمين سموهم بسم قاطع واراخوا
البشرية من نتانة أفواههم، وطهروا الارض من قذارتهم .

أما الجواب على قولهم: لو وجد محمد ماذا كان يعمل؟ فأقول: قد سبق في
الاجزاء الاربعة من كتاب (حياة سيد العرب) ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم
كان قد بعث في وسط الأمة العربية منفرداً ، ولما بث دعوته بين قريش ومن خالطهم
من العرب والموالي كان اول من خالفه، وصادمه ورد عليه دعوته، وكذّبه أهل بيته
وعشيرته، ثم عموم قبائل قريش ثم كافة العرب، وتصلبوا ضدّ دعوته ورفضوا التفاهم
معه، وآذوه وقاطعوه، وعذبوا أصحابه عذاباً شديداً لانهم كانوا في جانب القلة
المتناهية، فلم يحزن ذلك من عزمه، ولم يضعف ارادته، ولم يصد اقدمه بل انه ثابر على
دعوته، وتقدم في عمله الذي بعث من أجله بقدم ثابتة وقلب صلد، واخذ يعمل في
السراً والعلانية ثلاث عشرة سنة يدعو الى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة
ومجادهم بالتي هي أحسن، ويستجلب قلوبهم، ثم بعد صرف جهود عظيمة، وصراع
عنيف، طوال تلك المدة استطاع ان يشكل كتلة من نحو مائة رجل من العرب فيهم
السيد، والشريف، والضعيف، والمولى ثم هاجر معهم الى المدينة حينما تأمرت قريش

على قتله • ثم بعد الهجرة اتسعت حلقة تلك الكتلة وتفرع منها حسب تعاليمه وارشاداته صلى الله عليه وسلم رجال قادوا الامة بمهارة فاقت على عموم قواد العالم في ذلك العصر، واكتسحت مملكتي فارس والروم من الشرق، ثم افتتحو الدنيا في نصف قرن كما اعترف بذلك الامبراطور (نابليون بوناپرت) ملك فرنسا •

فاذا كان الامر كذلك، وفرضنا الحال، ووجد هذا الحكيم الكبير والنبى العظيم، والرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الذي هو على قولهم عصر العلم والتنور، فيكون الأمر اسهل مما كان في ذلك العصر الهمجي لأن التفاهم مع العالم والمتنور أسهل وأقرب من التفاهم مع الاعراب الجفاة، فهو لاشك انه بعد التفاهم معهم يستلم قيادتهم ويحلل كل ما هو متعسر تحليله من المشكلات التي استعصت على أقطابهم في هذا العصر الحاضر وهذا بديهي لا يحتاج الى اقامة الأدلة على ثبوته، لأن من كان في استطاعته اصلاح الهمج والمتوحشين وارباب الجفاء، لا يعسر عليه قيادة المتنور والمتمدن والمتعلم •

هذا اذا فرض وجود المصلح الكبير محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر ولم يكن على وجه الأرض مسلم، واما لو وجد صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الحاضر ووجد امامه اربعمائه مليون مسلم كلهم يشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فيهم المتعلم والمتنور والمتمدن، والقوي، وذو النجدة، ولا يحتاجون الا لمن يجمع كلمتهم، ويربطهم برباط الاخاء الصحيح الذي قد أرشدنا اليه بقوله صلى الله عليه وسلم «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وكما آخى بين المهاجرين والانصار على اختلاف طبقاتهم من سيد ومسود وجعلهم كتلة واحدة وجسماً واحداً، فلا شك انه يوقظهم في أقرب وقت من سباتهم العميق، وينشلهم من كبوتهم، ويقودهم بحكمته الباهرة ويرقى بهم الى أعلى قبة في مستوى العالم من قبة المجد والسؤدد والفخار ويعرج بهم الى أسمى درجات المدنية والحضارة والعمران، ولا يمضي على المسلمين برهة من الزمن الا وقد اصبحت مقدرات العالم المتمدن بأيديهم كما وقع لسلفهم في عصر الخلفاء •

ولا يحتاج الامر الى دليل حيث ان مانراه في العصر الحاضر من أن مقدرات كثير من الامم المتمدنة القوية العظيمة الشأن أصبحت في أيدي أفراد مثل المانيا صارت مقدراتها في يد هتلر وايطاليا مقدرتها في يد موسوليني، وتركيا في يد مصطفى كمال، وهم من أفراد تلك الامم وليسوا بأنبياء، ولا رسل، ولم ينزل عليهم الوحي من السماء ولم تكن نظمهم الهية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، بل ان نظمهم وضعية قابلة للتعديل في كل آن وحين .

فاذا كان الأمر كما وصفنا، أفلا يكون لو فرض الحال ووجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر وقبض بيده الطاهرة على مقدرات العالم الاسلامي وقادهم كما قادهم سابقا بنظام رب العزة ومنظم الكائنات جل وعلا، ذلك النظام الذي قد ظهرت فائدته حتى عند أعلام الغرب، أفلا يكون مصيرهم أعظم وأرقى من سائر الامم المعاصرة؟ فلا ريب في ذلك .

وأما اذا كان مقصد هؤلاء الأغبياء من قولهم لو وجد محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر ماذا كان يعمل أمام المخترعات الحديثة من الدبابات، والطائرات، والمدركات، والآلات الجهنمية، والغازات الخائفة؟ فذلك مما يدل على شدة حماقتهم وغباوتهم وجهلهم المتناهي، فلو انهم درسوا التاريخ الاسلامي وفحصوه فحص المستشرقين على الأقل لعلموا كل شيء عمله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعمله اصحابه رضي الله عنهم من بعده وتابعهم على ذلك العمل من أتى بعدهم من خيار السلف الصالح، بل ولعلموا أيضا ما عملته العرب البائدة في عصورها الغابرة، فقد ذكرت في الجزء الاول من (حياة سيد العرب) أن العرب هم أول من صنع السفن في غابر أجيالهم في الخليج العربي قبل ان يصنع الفينيقيون ملاحتهم في البحر الأبيض المتوسط . ولما جاء الاسلام بنوره وابتدأ الفتح الاسلامي كان سلاح المسلمين السيف، والرمح، والقوس، فلما وجد المسلمون ان أعداءهم يستعملون أسلحة أخرى مثل المنجنيق، والدبابات، والضبور، وما في معناها، قاموا على الفور بصنع ما هو أقوى مما بأيدي الاعداء . ولما غزا معاوية رضي الله عنه جزيرة قبرص في خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه غزاها بأسطول عظيم من صنع المسلمين وتفوق به على اسطول أعدائه، وكان النصر في جانبه، وغير ذلك من المهمات الحربية التي قد قام

بصنعها المسلمون وفاقوا على خصومهم في كل موطن من مواطن البأس . مع ان مخترعات المسلمين في عموم ادوارها الى زمن غير بعيد كانت ابيهى واعظم من مخترعات أهل الغرب، بل كانت هي المخترعات الوحيدة في العالم، حينما كان الغرب يتخبط في ظلمات الجهل وذلك بشهادة الاستاذ (دراير) الامريكي، والاستاذ (سنكس) والاستاذ (دروى) أحد وزراء فرنسا السابقين، وغيرهم كما سيأتي تفصيل ذلك عنهم . غير ان ذلك كان حينما كان المسلمون متيقظين . فلو فرض الحال ووجد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر لأيقظ المسلمين من سباتهم العميق ونهض بهم نهضته المعروفة حتى عند علماء الغرب، ولارشدهم الى عمل ما هو أفوق من عمل أعدائهم في عموم المخترعات اتقاناً وجودة، وتأثيراً، حيث ان لكل عصر من العصور سلاحاً خاصاً وقد أرشدنا القرآن الى مقابلة الاعداء بالمثل أو بما يفوق عليهم بقوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فلما كانت القوة بالسلاح الابيض والخليل المسومة، فقد استعد المسلمون بذلك ولما صارت الآن القوة بالطائرات

والمدرعات والدبابات، والآلات الجهنمية، والغازات الخائقة، فطبعاً من الواجب أن يكون الاستعداد بمثل تلك القوة أو بما يفوق عليها . وربما تكون هذه الآلات الحرية التي هي محل اعجاب أهل العصر الحاضر في العصور المقبلة لا تعد شيئاً أمام ما سيحدث من المخترعات في تلك العصور وتصبح هذه المخترعات أمام تلك بمثابة السلاح الابيض أمام مخترعات العصر الحاضر، فان ظن هؤلاء الاغبياء انه لو وجد النبي صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر يجعل سلاح المسلمين السيف والرمح والقوس فقط

ولا يأمرهم ان يستعدوا بمثل السلاح العصري أو بما يفوق عليه فهذا مما يضحك الشكلى مع ان المخترعات الحديثة العصرية لم تنزل على أهل الغرب من السماء أو انه جاء بها نبي مرسل من الله تعالى لاهل الغرب خاصة، وانما هي جاءت عن طريق التفكير والبحث ومن نتائج التجارب: كما أن ذلك ليس هو بالامر الصعب على كل من له مسكة من العقل . فلو أن المسلمين باروا أهل الغرب في مخترعاتهم وجدوا في عمل تلك المصنوعات لكانوا على الاقل مثلهم في كل شيء . اذا لم نقل انهم يفوقون عليهم كما فاق سلفهم المتيقظ السعيدي في عموم اعماله على معاصريه . فاذا علمت ذلك ظهر لك أن الذنب لم يكن ذنب الدين الاسلامي وانما الذنب ذنب المسلمين الذين

تقاعدوا عن واجبه الديني والدنيوي حتى صاروا اذلاء في عقر دارهم واستوجبوا هذا التأخر أمام الغرب وهذا الاستعباد.

هذا ما كان يصنع أو يعمل به (كما يظهر ويتبادر الى الذهن) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قياساً على ما عمله في عصره لو فرض وجوده في هذا العصر الحاضر من ايقاظ المسلمين من غفلتهم، وانهاضهم الى ما فيه تفوقهم على عموم معاصريهم، وجعلهم فوق مستوى العالم أجمع، واما ما كان يعمل في اذئاب الالحاد، أولئك المرجفين الذين لا خلاق لهم فان أول شيء كان يعملهم فيهم هو طم تلك المستنقعات التي نبتوا منها، وردم أبور القذارة التي نشأوا فيها، وهدم دور الالحاد والبذاءة والتشكيك التي استخرجوا منها، واحرق كتب التبشير التي قد حشيت بالاكاذيب والترهات والتشويه والمفتريات على الدين الاسلامي والتي هي سلاح الملاحدة الذين قد ارتشوا على اذاعتها بين البسطاء من المسلمين باسم التجدد واشعال النار في الخانات التي جعلوها أندية لهم واصلاء أبدانهم بلظاها وذلك ليظهر الانسانية التي لوئوها ببذاعتهم وقحتهم ويريح البشرية من وقاحتهم وسفستهم ويخلص بعض الناشئة الاسلامية التي رمتهم الاقدار في أيديهم من رجسهم ويشفى صدور قوم مؤمنين بآبائهم من وجه الارض.

هكذا كان يصنع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فرض وجوده في هذا العصر قياساً على ما صنعه فيمن كان مثلهم في عصره من مشركي قريش ويهود بني قريظة بما فيهم حيى بن اخطب وبعض المنافقين أولئك الذين قد بذل قصارى جهده في اصلاحهم فلم يفد فيهم غير الارهاق والتنكيل.

مع ان الامر لا يحتاج الى وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم في العصر الحاضر بل ولا الى وجود احد من الخلفاء الراشدين مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه او عمر الفاروق رضي الله عنه او الى احد القواد المهرة مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه او سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه. بل ولا يحتاج الامر الى من هو اقل بدرجات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ابن هبيرة او ابن ابي ليلى، أو موسى بن نصير، أو طارق بن زياد ذلك الذي افتتح أوروبا بعشرة آلاف مسلم أو يوسف صلاح الدين الايوبي ذلك الذي دحر دول أوروبا من فلسطين واجلاهم

عن بلاد الاسلام بجنوده العرب الذين هم من مصر وسوريا فقط وليس الامر ايضاً يحتاج الى غير هؤلاء القواد في العصر الحاضر وذلك لان الكتاب الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تبارك وتعالى هو بين أيدينا بسوره وآياته وحروفه ولم ينقص منه حرف واحد ولم تتغير فيه كلمة واحدة . كما أن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم التي أرشد بها أصحابه مدونة ومعلومة عندنا، وكل هذا كاف وكافل لهداية البشر في هذا العصر وفي عموم العصور الآتية، وصالح لكل زمان ومكان الى يوم البعث والنشور، وموعظة للمسلمين لايقاظهم من سباتهم العميق .

وانما الذي نحتاجه في العصر الحاضر هو إيجاد رجال مصلحين يقومون باصلاح المسلمين وربط اواصرهم وجمع كلمتهم على المبادئ التي سار عليها الخلفاء الراشدون ومن حذا حذوهم من خلفاء بني امية وبني العباس . وليس ذلك بالامر الصعب الذي لا يمكن الوصول اليه، بل إدراك ذلك من اسهل الامور . وانما يجب علينا قبل كل شيء ان نعمله بعد ان وصلنا الى ما وصلنا اليه من التفكك الشنيع والتخاذل المريع والتقاعد المميت تحطيم هذه القيود التي قد قيدنا بها أنفسنا او قيدنا بها أعداؤنا وننبذ ما اعترانا من البدع التي دخلت علينا في ديننا وصرفت وجوهنا عن مبادئ الدين القويم الذي سار عليه السلف الصالح ونهدم دور الاحاد والتشكيك على رؤوس أهلها أذئاب الاستعمار والتبشير التي هي السبب الوحيد في تأخر كثير من الناشئة الاسلامية التي عليها المعول في الحال والاستقبال وصرفت وجوههم عن الواجب الديني الذي هو الاساس الوحيد لنهضة الاسلام والذي هو الدافع لمعتنقيه الى الرقي والتقدم في عموم ما يحتاجه الانسان لصالح دينه ودينه وآخرته .

فاذا عملنا ذلك وتخلصنا من البدع والخرافات، والاحاد، والتشكيك وشافانا الله من ذلك الداء العضال الذي هو التقليد الأعمى لكل ناهق وناعق، ولكل دجال وشيطان، ولكل ضال مداهن وجب علينا الرجوع الى الورااء ألفاً وثلاثمائة وخمسين سنة: وذلك لأجل أن ندرس بدقة تعاليم المؤسس الأعظم لهذه الجامعة الاسلامية ذلك المؤسس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم نتبصر في أعمال الخليفتين أبي بكر الصديق، وعمر والفاروق رضي الله عنها وما قاما به من النهوض بالأمة الاسلامية نحو

الرقى والاجتماع والتقدم في عصرهما السعيدين، ثم نتبع سير قواد الاسلام العظام أولئك الذين قد فتح الله تعالى على أيديهم الأقاليم والممالك في عموم أنحاء الأرض، واستقبلتهم تلك الأمم بصدر منشرح لكونهم أطعموهم حلاوة العدل والحرية

والانصاف. ومتى نجحنا في دراسة كل ذلك ووقفنا وقوفا تاما على تلك النظم الشرعية، والاجتماعية، والسياسية، والادارية، والعمرانية. وجب علينا أن نسير على موجهها سيرا حسنا منظما. ومتى قننا بهذا الواجب تسنى لنا بعد ذلك أن نربط أواصر العالم الاسلامي الذي يربو على أربعمائة مليون من النفوس برابطة الايمان الصحيح

الذي لا يشوبه تفكك، ولا تخاذل ولا يتخلله الحاد ولا تشكيك، ولا بدع، ولا خرافات، نربط ذلك العالم الاسلامي المتبعثر، والمتفكك، والمتخاذل، في عموم أرجاء الأرض الذي يقطن من رأس الرجاء الصالح بأقصى افريقية جنوبا الى أقصاها شمالا ومن المحيط الأطلنطي غربا الى أقصى الصين شرقا. ومن جزر الاقيانوس جنوبا بما فيها جزر جاوا: ثم أقاليم الهند: والايران: والافغان: وتركستان: وبخارى، والقفقاس، الى تخوم روسيا شمالا وما تغلغل تلك الحدود بأواسط آسيا وأطراف أوربا، وغير ذلك من الأقاليم التي يوجد بها أفراد وجماعات من المسلمين.

وهنا نتساءل عن الطرق الموصلة الى ذلك. فالذي يظهر لنا أن هناك طريقين يمكن الوصول بواسطتهما الى ما نتوخاه من الاصلاح. (احدهما) أن يختار العالم الاسلامي منه رجالا أشداء مخلصين لدينهم ولأمتهم ولجامعتهم الاسلامية، غيورين على أبناء جلدتهم من عموم أجناس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ويكون هؤلاء المختارون على قسمين. قسم منهم يتولى التدريس في عموم المدارس الاسلامية، وكل أمة من الأمم

الاسلامية تضع في مدارسها أساتذة متضلعين في لغة تلك البلاد مع وجوب تعليم اللغة العربية حتى يتسنى لعموم الأمة الاسلامية أن تتفاهم مع بعضها بعضاً باللغة العربية التي هي لغة القرآن وذلك بعد أن ينبذ وينحى منها أساتذة الاحاد والتشكيك الذين هم رسل التبشير ودعاة الضلال والداء العضال في جسم المسلمين والذين هم أيضاً أساس الفساد في تضليل كثير من الناشئة الاسلامية. فيتولى هؤلاء الأساتذة المختارون تدريس

فلذات أكبادهم ورجال المستقبل على قاعدة الايمان الصحيح فيغذون ارواح الناشئة بمبادئ الاجتماع الاسلامي والاخاء الانساني ومكارم الأخلاق والتكاتف والتعاقد.

والقسم الثاني يتولي لقاء المحاضرات، والخطب الاجتماعية في الاندية والمجتمعات العمومية، ويسيرون الى الامام بقدّم ثابتة وقلب صلد، ورابطة جأش، وعزم صادق واقدام مستمر، وجراءة فائقة لا يهزهم التهديد، ولا يصدّهم الوعد والوعيد، ويتسلحون بالصبر والثبات كما صبر منقذ العالم محمد صلى الله عليه وسلم على أنواع البلاء، وصنوف الارهاق، وكما صبر أصحابه رضي الله عنهم على أشد أنواع العذاب، حتى بلغوا مرادهم من انقاذ البشرية من الفوضى والشرك والاستعباد.

فتى ثابر هؤلاء المصلحون بضع سنين على ذلك فلا شك انهم ينجحون في أعمالهم، ويتفوقون في غرس المبادئ الاسلامية في قلوب عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم وبالاخص في انقاذ الشبيبة من برائين الاحاد والتشكيك والفرنج لأن الامر موقوف على تأهل الشبيبة وتغذية ارواحها بمبادئ الايمان الصحيح لانهم هم رجال المستقبل وعليهم المعول في الدفاع عن الاسلام من كل تعد مادي أو معنوي ولا تمضي على المسلمين برهة من الزمن الا وقد أطلقوا من عقالهم وأصبحوا أقوياء الجانب عظيمي الهيبة، مستقلين استقلالاً تاماً بأوطانهم، ومصونين في أهليهم وأولادهم وأموالهم. وهذا هو الطريق السلمي الوحيد، وهو سبيل الهدى والرشاد والنجاح والفلاح في كل شيء.

فظهر مما تقدم أن الأمر لا يحتاج الى وجود المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم وانما الذي نحتاج اليه هو التمشي على طريقته التي كان دستورها القرآن المجيد فلوان المسلمين ساروا على ذلك الطريق الأوحد، وتمسكوا بأعباء الدين الحنيف وسلكوا سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، واقتدوا بالخلفاء الراشدين المهديين من بعده، لما وصلوا الى ما وصلوا اليه من الانحطاط والتفكك والتخاذل بل كانوا لا يزالون في عز مستمر، وبقوا على ما كانوا عليه في سالف مجدهم سادة العالم أجمع، رغمًا عن المدنية العصرية الجوفاء التي مبناه على التهلك والدعارة، ونبد الفضيلة، ورغمًا على أنوف المعجبين بها أولئك الذين خسروا أنفسهم وأموالهم فيما لم يحمد عقباه من الخبائث وتراهم

ساخطين على الاسلام لانه حرم على الناس الخبائث وأباح لهم الطيبات لكونهم قد ألفوا الخبائث وانغمسوا فيها ، وأصبحوا لا حياة لهم الا بها .

وربما يتبادر الى بعض الأذهان الجامدة ان الاسلام انما هو دين عبادة، وليس هو دين مدنية، وحضارة، وعمران، واجتماع، وسياسة وأنه يمنع معتنقيه من معرفة الصناعة والزراعة، ومزاولة الفنون الجميلة .

فوجب ان أوضح له ما كان عليه الاسلام في سابق مجده . فقد حدثنا التاريخ ان الاسلام جاء بنظام العالم والامم، وبسعادة البشر، وبالمدينة الطاهرة النقية من كل دعارة وفسق وفجور، تلك المدنية التي كان مبناها على مكارم الاخلاق، وبالعمران الذي شيد على العدل وبالحرية الفاضلة، والمساواة بين طبقات البشر في الحقوق، وبالحضارة البهجة التي لا تزال محل اعجاب أعلام الغرب وفلاسفته ومفكره الى اليوم، كل ذلك كان بارشاد الدين القوم، فقد احل للامة الاسلامية الطيبات، وامرها باتخاذ الزينة حتى عند كل مسجد كما حدثنا التاريخ عما شيده المسلمون من العمران الهائل، فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه ترعة السويس واجرى السفن فيها من القاهرة الى البحر الأحمر، وعمر ابو جعفر المنصور مدينة بغداد وانشأ على ايوانه تلك القبة العظيمة التي كان بناؤها بالذهب الوهاج وقد بلغ ارتفاعها ثمانين ذراعاً، وبنى عبدالرحمن الثالث الاموي بقرطبة في اسبانيا مدينة الزهراء وهي عبارة عن قصر، ومسجد، وحديقة، وقد صرف عليها مئات الملايين من الدنانير، وغير ذلك من بدائع العمران وصنوف الفنون الجميلة، مما ادهش المفكرين والمنصفين من اعلام الغرب، فكان المسلمون هم اساتذة اوربا في عموم علومهم ومعارفهم حتى الميكانيكا . وقد شهد بذلك كثير من علماء الغرب وفلاسفته . اولئك الذين نشأوا في أحضان المدنية الغربية في العصر الحاضر، وهم لا يزالون على غير دين الاسلام وقد تصدى المنصفون منهم بالرد على مفتريات المبشرين من ابناء جنسهم ومذهبهم، تلك المفتريات التي قد اختلقوها على نبي الاسلام، وكتاب الاسلام، والتشريع الاسلامي، وعلى الخلفاء الراشدين، واعلام الاسلام وقادة الاسلام وحضارة الاسلام، فزيفوا اقوال القسس وكل ما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم والى الدين الاسلامي كما سيأتي في هذه الوريقات قريباً، وكان الدافع لهؤلاء الأعلام الغربيين الى اظهار الحقائق هو

محض الانصاف، ولأجل ان يرشدوا امتهم الى محاسن الاسلام كي يقتبسوا منه ما يوافق مشارهم، ويتمشى مع الرقي وال عمران حسب رغباتهم، لكونه هو الدين الصحيح الذي لم يعتره تغير أو تبديل.

هذا ما أردت بيانه عن حقيقة الدين الاسلامي ملخصاً وقد اتيت باوضح مما تقدم في كتاب (حياة سيد العرب) وهناك تقف على ما عمله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من السياسة والاجتماع. واليك شيئاً وجيزاً مما قاله اعلام الغرب الذين هم اهل الحل والعقد في بلادهم، وامتهم، واصحاب الكلمة المسموعة عند اقوامهم، وارباب المقامات الرفيعة في حكوماتها في الدين الاسلامي ونبى الاسلام وكتاب الاسلام وحضارة الاسلام وعمران الاسلام ومدنية الاسلام ومقام به رجال الاسلام من الاعمال العظيمة في كل شيء والاصلاح الكبير، ونشروا ذلك في مؤلفاتهم التاريخية والاجتماعية ومجلاتهم وجرائدهم السبارة وما القوه في انديتهم ومجتمعاتهم من الخطب والمحاضرات في ذلك، لكي تقف أيها القارئ على ما قاله أولئك الاعلام، الذين هم على غير دين الاسلام في محاسن الاسلام، وكونه هو الدين الوحيد الذي عليه مدار الاجتماع البشري، وفيه صلاح العالم اجمع وهو الذي يصلح لكل زمان ومكان. ثم تقارن بين اقوالهم وبين ما يقوله حشرات الالحاد والتشكيك، اولئك المنبذون من الفضيلة، والانسانية ومكارم الاخلاق، حتى يظهر لك جلياً ان هؤلاء الحشرات أجهل من الحيوانات العجم عقلاً، وفهماً وادراكاً، وتصوراً، وأحظ من القرود والخنازير وعبد الطاغوت في المجتمع الانساني قدراً، ومقاماً ومنزلة.

المؤلف

نظرية الكونت هنري

قال (الكونت هنري دي كاستري) وهو احد وزراء فرنسا، وأحد حكام الجزائر السابقين، في كتابه (الاسلام) الذي عرّبه المرحوم فتحي زغلول باشا في صحيفة (١٥):

إن امة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم، وكان مذهب توحيد الاله يخطر في الاذهان رويداً رويداً، وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقاً يقال لهم الاحناف، بقوا على مذهب ابراهيم، واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير (تعدد الآلهة) وتلقى محمد مذهب أولئك الاحناف بحالة سطحية، لكن لما كانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله الا قليلا، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلاباً كلياً في النوع البشري، ومن الخطأ ان نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الاحناف، لان محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً (نبياً أمياً) وهو وصف لم يعارضه فيه احد من معاصريه ولا شك انه يستحيل على رجل في الشرق ان يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس، لان حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على ان القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الاقطار، فثبت اذن مما تقدم ان محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه اذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضاً من الكتب المقدسة الاخرى لبقى الامر مشكلاً كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الديني، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحاً وجسماً؟ ولقد نعلم انه مر بمتابع كثيرة وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل ان يخبر برسالته، فقد

خلقه الله ذا نفس تمحضت للدين، ومن اجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الاوثان ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى، اعتكف في (جبل حراء) وارخى عنان التفكير يجول في بحار التأملات عابداً مجتهداً، ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن اولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بمجدة التخيل وقوة الادراك، لا بوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان الا ان يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله احد الله احد) كلمات ردها المسلمون أجمعون من بعده، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشغولاً حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وكانت مترادفات اللغة العربية تساعد بمعانيها الرقيقة على تردد ذلك الفكر السامي الذي دلّ عليه، ومن تلك الافكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا اله الا الله) ذلك هو اصل الاعتقاد باله فرد، ورب صمد، منزّه عن النقائص، يكاد العقل يتصوره، وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب، اولئك حقاً هم المؤمنون كما يسمون انفسهم، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو اعظم مظهر في حياته، وهو ذاته اكبر دليل على صدقه في رسالته وامانته في نبوته .

ثم تكلم عن الوحي ومعجزات القرآن في بلاغته ومعانيه واعتراف فصحاء العرب باعجازه، وذكر منهم عتبة بن ربيعة، وذكر مسيلمة الكذاب واثبت بطلان ادعائه، وذلك من صحيفة (١٨) الى (٢١) ثم قال: ولو قال قائل ان القرآن ليس كلام الله، بل كلام محمد، فلا بد لنا على الحاليين من الاعتراف بان تلك الآيات البيّنات لا تصدر عن مبتدع ابداء، خلافاً لرأى من ذهب الى تكذيب نبوته، ولعل رأيهم جاء من ضيق اللغة التي تلجئنا الى ان نرمي بالكذب نبيا هو في الحقيقة شخص مليء امانة وصدقاً— الى ان قال: اذاً ليس محمد من المبتدعين، ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبي سلاب كما يقول موسيو (سايوس) ولا نسلم بانكار هذه الحقيقة، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصاً اذا لاحظنا ان القرآن جاء ليتممها . كما ان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين: ثم قال: ولكن

الامر الذي تهم معرفته هو ان القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلاً.

وقال في صحيفة (٤٨) بعد ان اطال البحث في تحليل ما تقدم ورد على المتطرفين من المستشرقين فرياتهم على نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم وبالجملّة فان الاسلام ما دخل بلداً الا وصار ذا المقام الاول بين الديانات المسيحية من غير ان يتعرض لمحوها، وعلى هذا يتحقق ان الدين الاسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة. بل الاقرب للصواب ان يقال ان كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سببا في سقوط المملكة العربية — الى ان قال : ان ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الامم اليهودية، والمسيحية، والوثنية في افريقيا الشمالية، وفي قسم عظيم من آسيا، حتى انه وجد في بلاد الاندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حباً في الاسلام كل هذا بغير اكراه.

ثم بعد ان اطال البحث في العقائد الاسلامية والتشريع الاسلامي من ناحية الاعتقاد بالقضاء والقدر وتعدد الزوجات والطلاق، والرق صرح بان ذلك من حسنات الاسلام على المسلمين. وان الرق كان عند الامم المسيحية على اشنع حال. ورد على المبشرين اكاذيبهم ومفرياتهم وتشنيعهم على الاسلام، قال في صحيفة (٨٦): وهنا يجب البحث فيما اذا كان الاسلام ديناً عمومياً بطبيعته كدين بوزا وكالدين المسيحي، أو هو دين خاص بامة من الامم، وهو بحث طرق بابيه من قبل موسيو (كينان) والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية، فالاسلام دين عام بغير شبهة، لاننا نشاهد من المسلمين في كل امة على اختلاف الاجناس والبلدان، فمنهم الشرقي والتتري والغربي، والهندي والزنجي. بقى علينا ان نعرف مع موسيو (كينان) ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين، او متولدة من اسباب اخرى وهو يرى ان الامة العربية ليست مهددة الطبيعي، وانما هو ينتمي اليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومي، وهو قيد ناشيء عن نظر في الموضوع من احدى جهاته فقط لان الدين الاسلامي الذي منشؤه القرآن والسنة هو الذي تولد عنه ذلك الاسلام الذي يعترف المؤلف المشار اليه بانه دين عام لا محالة، وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية،

حصل تدريجاً بطريقة يتعذر ضبطها، وذلك بتأثير الزمان والامم المختلفة التي اعتنقته، بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد ان صار كما نراه في هذه الايام، فلا يغضب موسيو (كينان) اذا حذفت تقسيمه الاسلام الى اول ولاحق، وقلت فيه كلمة كما قال في كتابه انه دين عمومي — ثم قال: ومن مزايا الاسلام انه دين رحيم، فهو يعد الجنة والنعم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالمحارب يموت شهيداً والعالم يكتفي بتلاوة القرآن، والاثنان مقبولان عند الله، وللفقير مكان عال وللغني درجة رفيعة الخ.

هذه نبذة وجيزة نقلتها من نظرية الكونت هنري دي كاستري الوزير الفرنسي من كتابه (الاسلام) وهذا الكتاب يحتوي على مواضع شتى دحض بها مفتريات القسس، والمبشرين وبعض المستشرقين المتطرفين الذين لا يقيمون للانصاف وزناً وكل ما اذاعوه من التشنيع على الاسلام، وكتابته ونبيه مع انه قد صرح انه مسيحي المذهب ولكن الذي دفعه الى ذلك هو أولاً حرية الرأي والانصاف في القول الحق وان كان ذلك ضد مذهبه، ثانياً اراد ان يطلع الامة الفرنسية على حقيقة الدين الاسلامي لتكون على بصيرة من امرها ولا تغتر بفريات المبشرين الذين يستنزفون اموال امتهم باسم التبشير لديهم دون جدوى ولا طائل تحته غير تضحية الاموال الضخمة في سبيل شهوات القسس وغطرستهم التي لا حد لها.

نظرية الأستاذ سيدو

وقال الاستاذ الكبير الموسيو (سيدو) الفرنسي احد اعلام الافرنج وأحد وزراء فرنسا السابقين في كتابه (خلاصة تاريخ العرب) تعريب (علي باشا مبارك) بصحيفة (٧) في المقدمة بعد ذكره لفضل الامة العربية قوله:

ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب ووجه افكارها الى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت سلطتها من نهر التاج — المار باسبانيا، وبرتغال — الى نهر الكنج — وهو اعظم انهار الهند — وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والغرب، وأهل اوربا اذ ذاك في ظلمة جهل القرون المتوسطة، وكأنهم نسوا نسيانا كلياً ما وصل اليهم من احاديث اليونان والرومان، واجتهد العباسيون ببغداد، والامويون بقرطبة، والفاطيون بالقاهرة، في تقدم الفنون ثم تمزقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية فاقصروا على السلطة الدينية التي استمرت لهم في سائر ارجاء ممالكهم، وكان لديهم من المعلومات، والهنائج، والاستكشافات ما استفاد منه نصارى اسبانيا حين طردهم منها كما ان الاتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم.

ثم قال في صحيفة (٩) في وصف التمدن العربي: وصل التمدن العربي الذي تمكنت أصوله في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن، ولا نزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادئ ما نحن عليه من المعلومات الاوروبانية، فان العرب في غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية

الحربية وشغفوا بحوز المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة، وطليطلة والقاهرة وفارس ومراكش، والرقّة، واصفهان، وسمرقند تفاخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف . وقرىء ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية، وبذل العرب همّهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من اوربا بابتكارات تدل على انهم أتمتوا في المعارف ولنا شاهد صدق على علو شأنهم الذي تجهله الفرنج من ازمان مديدة، الاول ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة، والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة، والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التي مارسوها بغاية النشاط .

وقد اتى الموسيو سيديو في كتابه هذا على بعض السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي وتوسط في بحثه ولم يكن مجحفاً أو جافياً ونقل عنه الاستاذ فريد وجدي في كتابه (الاسلام دين عام خالد) في الجزء الاول منه بصحيفة (٤٢) انه قال: لقد كان المسلمون متفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة فنشروه حيث وطئت اقدامهم وكانوا هم السبب في خروج أوروبا من الظلمات الى النور . انتهى .

فهذا يدلنا دلالة صريحة على أن المسلمين هم الذين جنوا على أنفسهم جناية لا تغفر لكونهم تقاعدوا عن العمل، وتكاسلوا في درس العلوم والفنون التي خلفها لهم أسلافهم، وأهملوا مزاوله الصناعة في العصور الحاضرة حتى صاروا عالة على الغرب في كل شيء حتى في سم الخياط، ولم يكن الدين الاسلامي هو الذي أمرهم بالتقاعد عن واجباتهم الدينية والدنيوية، فالذنب ذنبهم لأنهم أضاعوا مركزهم السياسي والاجتماعي والصناعي، كما أضاعوا

أستأذيتهم العليا على الغرب، وعلى العالم أجمع، وكانوا هم السبب الوحيد في
انحطاطهم، وجعلوا مسوغاً لأعداء الاسلام أن يرموا الدين الاسلامي بالجمود
والتأخر، بناء على جهودهم وتأخرهم الممقوت في كل أحوالهم الدينية،
والدنيوية، والاجتماعية .



نظرية الدكتور جوستاف لوبون

وقال الدكتور (جوستاف لوبون) الفيلسوف الفرنسي في كتابه (سر تطور الأمم) تعريب فتحى زغلول باشا في صحيفة (١٥٩): اتحدت قبائل العرب بفكرة محمد صلى الله عليه وسلم فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء، وشادوا تلك الدولة الكبرى—ثم قال—: ومن أجل ذلك ساد اتباع محمد بتشدده، وامتد سلطانهم على قسم كبير من الدنيا زمناً طويلاً، ولا تزال لهم خشية في النفوس.

وقال الدكتور جوستاف أيضاً في كتابه (تمدن العرب) نقلاً عن كتاب (الاسلام في عصر العلم) من الجزء الثاني بصحيفة (١١٢): العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهتموا بتطبيقها على الصنائع فقد أكتسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً، واننا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك، الا أننا نعرف نتائجها وآثارها، فنعرف مثلاً أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت، والنحاس، والزئبق، والحديد، والذهب، وأنهم برعوا جداً في صناعة الصباغة، وأنهم مهروا في سقي الفولاذ مهارة بعيدة المدى، حتى ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك، ونعرف أيضاً أنه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجودة ولورقهم شهرة عامة. وانهم في كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن—ثم قال—: من بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلاً. وهذه المكتشفات لا يجعل بنا أن نسردها سرداً بل يجب علينا أن ننهبها

شيئاً من التفصيل. — الى ان قال : مما مر يتجلى للقارىء ان ديوان المكتشفات العربية في العلوم الطبيعية لا تقل في الخاطرة والقدرة عما لهم منها في العلوم الرياضية والفلكية وما نسرده عليك هنا يعرب لك عن تلك الحضارة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية في الطبيعة النظرية خصوصا في نظريات الضوء والابصار، وقد حفظ عنهم اختراعهم لاجهزة ميكانيكية من ادق ما يعرف من نوعها واكتشافهم للجواهر التي تعد من اعظم اراكين علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك . وقد سجلت لهم اكبر العمليات الاساسية مثل التقطير مثلاً وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة والصناعة وخصوصا لاستخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغ الخ وعرف عنهم عمل الورق من الخرق، ويرجح انهم طبقوا البوصلة على فن الملاحة وأدخلوا هذا الاكتشاف الاساسي الى اوربا. انتهى .

هذا بعض ما قاله الدكتور جوستاف لوبون عن مدينة العرب الاسلامية وحضارتها واكتشافاتها وصناعاتها وفنونها الجميلة، وهذا شيء لا يختلف فيه احد ممن درس التاريخ الاسلامي ومدينة الاسلام العربية، غير ان المنصفين من الغربيين هم الذين صرحوا بها رغما عن الملاحدة والمبشرين الذين قد تعمدوا انكار الحقائق عموما بما كان للاسلام من رقى وعمران وحضارة سواء كان ذلك عن علم او عن جهل، ولكل حظه من السعادة والشقاء والصدق والكذب .

نظرية الأستاذ لاين بول

وجاء في تاريخ العرب في اسبانيا كلمة للاستاذ (لاين بول) وهي قال:
لبثت اسبانيا في قبضة المسلمين ثمانية قرون، وضوء حضارتها الزاهرة يهر
أوروبا وازهرت بقاعها الخصب بمجهود الفاتحين وانشئت المدائن العظيمة في
سهول الوادي الكبير ووادي يانا فلم يبق ثمة ما يذكرنا بماضيها المجيد سوى
الاسماء، والاسماء فقط، وتقدمت بها الآداب والعلوم والفنون دون سائر
الاقطار الاوربية الاخرى فهرع اليها الطلاب من فرنسا والمانيا وانجلترا ليردوا
مناهل العلم التي كانت تفيض على البلاد العربية دون غيرها وكان جراحو
الاندلس وأطبائها من ابطال العلم ونواع الفنون، ونبغت بقرطبة نسوة طبيبات
شجعن على المثابرة في الدرس والتعمق في البحث، ولم تثمر وتكتمل زهرة
العلوم الرياضية والفلكية والنباتية والتاريخ والفلسفة والتشريع الا في اسبانيا
العربية، ومهر العرب الاسبان في الزراعة وطرق الري الفنية وفي فن التحصين
وبناء السفن وفي صناعة الغزل، كذلك نبغوا في فنون الحرب نبوغهم في
فنون السلام فلبثوا زمنا مديدا في طليعة المتفوق الظافر، وبينما كانت اساطيلهم
تنافس الفاطميين سيادة البحر اذ مجيوشهم تحمل النار والسيف الى امم
النصرانية فكل ما يدعو الى عظمة امة وسعادتها وكل ما يؤدي الى رقي باهر
وحضارة سامية فاز به مسلمو اسبانيا. انتهى .

هذا ما قاله لاين بول عن مدينة العرب في الاندلس وانهم هم اساتذة
الغرب في عموم الفنون والعلوم والصنائع وكان بحثه منحصرا في الاندلس

خاصة لان موضوع كتابه كان خاصا باسبانيا ولم يتعرض لحضارة الاسلام في
اقاليم الشرق عامة، وعلى كل فقد كان من طبقة المنصفين الذين يتبعون
الحقائق ويذكرونها في مصنفاتهم بصورة صحيحة طبق الاصل ولو ان ذلك لا
يتفق مع مصلحة المبشرين منهم .



نظرية اسحاق طيلر

وجاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) في الرد على كرومر للشيخ مصطفى الغلاييني بصحيفة (٣٨) نقلا عن (اسحاق طيلر) رئيس الكنيسة الانكليزية ببلاد الانكليز من خطاب فاه به في مؤتمر الكنيسة انه قال: الاسلام ينشر لواء المدنية التي تعلم الانسان مالم يعلم والتي تقول بالاحتشام في اللبس وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس، فتنافع الدين الاسلامي لا ريب فيها وفوائدها من اعظم أركان المدنية ومبانيها . انتهى . فهذا اعتراف من رئيس كنيسة بمزايا الاسلام مع ان القسس هم اشد الامة المسيحية تعصبا ضد الاسلام والمسلمين، ولكن مع ما فيهم لا يخلو ان يكون واحد منهم يتكلم بصراحة عن محاسن الاسلام ولو كان ذلك ضد مذهبه .

نظرية واشنطنون

ونقل عن (واشنطنون ابرفنج) انه قال: القرآن فيه قوانين زكية سنية .

نظرية الأستاذ جيون

ونقل عن (جيون) انه قال: القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الأطلنطي الى نهر الجانجس بانه الدستور الاساسي ليس لأصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الانساني وترتيب شؤونه— وقال ايضا: ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا في احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك فهي شريعة حيكت باحكم وأعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين . انتهى .

هذا ما قاله الاستاذ (جيون) عن القرآن المجيد وعن التشريع الاسلامي وكونه يشمل الناس جميعا وانه حيك باحكم منوال شرعي فاذا قابلنا بين قول هذا المستشرق وبين قول من ينتمي الى الاسلام ذلك الذي يقول بكل وقاحة ليس في القرآن تشريع منتظم فاذا تكون النتيجة؟ فلا شك ان يكون الاخير أجهل من الحيوانات العجم اذ ان المستشرق يستطيع ان يفقه التشريع الاسلامي، وذلك الذي يدعى الانتماء الى الاسلام والى القضاء الشرعي يجله ولا يكتفي بالجهل بل يعتمد الاتحاد في الدين الاسلامي ولا يستحي من الله والناس، ذلك هو الحزى في الدنيا ولعذاب الآخرة أخرى .

تَظَرِّيَّة دوزي

وقال الاستاذ المشرق الكبير (دوزي): بينا أهل أوروبا نائمون في ظلام الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط اذ سطع نور قوي من جانب الامة الاسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم واغتنم منها اهل أوروبا في القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنوناً عظيمة—وقال دوزي ايضاً في كتابه (ملوك الطوائف) بصحيفة (٣٩٩): اننا نرى ان الاسلام قد انتشر بسرعة مذهشة بين تلك الشعوب التي غزوها وهذه ظاهرة لم ير لها العالم مثيلاً من قبل، وهي تبدو لأول وهلة لغزاً مستسراً لا سبيل الى حله وتعليله لا سيما اذا عرفنا ان هذا الدين لم يكره أحداً على الدخول فيه، وقد كان محمد يأمر بالتسامح والاغضاء وقد وضع للمسلمين قاعدة الجزية وفرضها على كل من لم يدن به من اهل الكتب المنزلة من اليهود والنصارى، فنحنهم حرّيتهم الدينية على ان يدفعوا ما فرضه عليهم من الجزية وزاد في تسامحه فنحن هذه المزية لمن يقطن اقليم البحرين من المشركين—ثم قال: أضف الى هذا ان الحكم الاسلامي كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة لاسيما النصارى، فقد كان سواد المسيحيين في الشرق ينتمى الى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة القسطنطينية واعانتها ما أرهق أصحابها ارهاقاً، فلما جاء الاسلام ومن طبيعته التسامح والاخاء ترك لهم الحرية التامة في البقاء على

دينهم ما داموا يؤثرونه على غيره من الاديان، وظللهم بحمايته وسوى بينهم في الحقوق على اختلاف مذاهبهم وشتى نحلهم، ولا تنسى انهم كانوا مضطرين الى دفع ضرائب فادحة للامبراطور الروماني، فلما جاء الاسلام أعفاهم منها ولم يفرض عليهم الا جزية معتدلة، لا ترهق أحداً. ومتى عرفت هذه الأسباب زالت دهشتك وعجبك من ايثارهم حكم المسلمين على حكم الرومان، واندفاعهم الى مساعدة العرب في فتوحاتهم بكل قلوبهم وقواهم، بدلا من مناوأتهم والتألب عليهم. واذا كان ذلك كذلك فما بالهم لا يبقون على دينهم؟ وأي شيء حفزهم الى الدخول في هذا الدين الجديد من غير أن يكرهوا على الدخول فيه. وهم يعلمون ان اسلامهم لا يرتاح اليه ملوكهم؟ لقد تضافرت عدة أسباب على الوصول الى هذه النتيجة وقد ألمعنا آنفاً الى ما يعود عليهم من الفائدة المادية اذا أسلموا لأن اعفاءهم من الجزية على اعتدالها كان مما يرغبهم في الاسلام، وأضف الى هذا ما يشعرون به من الكرامة الشخصية اذا أسلموا وأصبح لهم من الحقوق ما للمسلمين على ان اسلام المسيحي كان الخطوة الأولى الى الكرامة والشعور بالعزة، والزمن وحده كفيل بتحقيق ما يليها من الخطوات ولن يلبث ابن المسيحي ان يصبح مسلماً اصيلاً يتمتع بكل ما يتمتع به العربي من عزة وكبرياء—ثم قال دوزي في صحيفة (٤٠٥):—: لو صح ما قاله القساوسة من ان محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره وما بال فتوحات اتباعه تترى ويتلو أحدها الآخر وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد؟ وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول؟ ولقد كانوا يعتقدون اول امرهم ان خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة التي كانت تحدث لاقل مناسبة. وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ولكن انتظارهم تلك المعجزات قد طال وذهب صبرهم أدراج الرياح وعبثاً حاولوا وقوع هذه المعجزة. وأعجب من ذلك ان المعجزة ان لم نقل معجزات قد حدثت حقاً في ذلك العصر. وكانت معجزات أعظم مما كان

يتوهمه القديسون أنفسهم، واي معجزة أروع وأعجب من ان نرى شعباً كان الى زمن قليل في غيابة من الخمول ثم ظهر الى الدنيا فجأة وظل يتقدم بسرعة لا مثل لها وهو يغزو الارحاء الفسيحة وينتصر على قطر بعد قطر فتدين له البلاد بالطاعة والولاء وتقبل على دينه من كل حذب وصوب راضية غير مكرهة . ولو اننا عزونا اقبال المسيحيين على الاسلام الى الفائدة الشخصية او الرغبة في التخلص من الذل والضعفة فنحن جديرون ان نقرر ان من الثابت المحقق ان كثيراً من المسيحيين دانوا بالاسلام عن عقيدة وايمان. ١هـ .

هذا ما قاله المستشرق (دوزى) عن دين الاسلام ، وتسامح الاسلام وحضارة الاسلام ، وتمدن الاسلام . وأبان عن جالة المسيحيين وكيف كان دخولهم في الاسلام طوعاً باختيارهم بغير اكراه ولا اجبار رغبة منهم لكونهم وجدوه مهبط الرحمة ، ومعدن الشفقة ، ومأوى الحضارة الراقية وسبيل الخير والصراط المستقيم . وقد اعترف (دوزى) ايضاً بان القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في صحيفة (٣٩٨) بقوله: لا يفوتنا ان نذكر القارىء بأن القرآن هو كلام الله ، وانه جعل الجواب على لسان نبيه محمد بقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) . انتهى ، وكل ذلك كان من (دوزى) ليشرح لأمتة المسيحية عن حالة الاسلام الحقيقية ويرد على القساوسة فرياتهم التي اختلقوها على الدين الاسلامي تلك الاكاذيب التي لا تنطبق على الواقع ، مع انه مسيحي مستشرق ولكنه يصرح بما ظهر له عن الدين الاسلامي ، والامة العربية التي قامت بنشر الاسلام ، وبث دعوته بين سائر الامم ، واذاغت للملأ عموماً ما جاء به الدين الخفيف من الهدى والصالح والعدل والحرية والمساواة بين طبقات البشر . والذي يوجب الأسف أن الملاحدة الذين ينتسبون الى الاسلام اسماً ينكرون كل ذلك بكل وقاحة وبغير خجل لانهم لم يقفوا على شيء من حقائق الدين الاسلامي ، ولن يقفوا لانهم في شغل شاغل لما هم فيه من التخطب في لجج الجهل والغباء والارتباك والتشكيك .

نظرية الدكتور فاليري

وقالت الدكتورة (لورافيتشا فاليري) الكاتبة الايطالية، في كتابها (محاسن الاسلام) صحيفة (٣): هدأت في أيامنا هذه نار الحقد والكراهية التي كانت تتأجج في صدور الباحثين من الاوربيين في الشؤون الاسلامية طول سنى القرون الوسطى، وفي جانب كبير من سنى العصر الحاضر، ولم يعد نبي العرب في نظر أحد ممن يتصدون لهذه الأبحاث، ذلك المستحق لأحد الشائم وأقذع عبارات السباب، حيث ظهرت في العهد الأخير أبحاث ادعى أصحابها التزام جانب الحياد التام فيما كتبوه وزعموا انهم خالون من الغرض وسوء النية، الى أن قالت: ولما كانت النتائج التي وصل اليها هؤلاء الباحثون الغربيون غير متوفرة فيها الغيرة الصادقة الواجبة، فهي لهذه الأسباب لا تصلح لأن تكون أساساً لكتابة يقصد منها اطلاع الغربيين على كنه الديانة الاسلامية والشرعية السمحاء، اذ أن المستشرقين أمثال (موير) و(اسبرنجر) والذين تلوهم أمثال (جولد زهر) و(نولديكه) و(كاتياني) وغيرهم الذين سلكوا في النقد طرقاً تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين قد وصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته، والى التأكيد في شيء كثير أو قليل من الوضوح بصحة استعدادة بصورة لا تقبل الجدل لوشي عمدوا الى تفسير خفاياه، أما المتأخرون منهم فقد استخلصوا أصول كل عنصر من عناصر العقيدة الاسلامية ومحتوا ادوار نشوئها وارتقائها حتى وصلوا الى الاقتناع بان كثيراً مما يعتقد المسلمون منزل من عند الله على لسان محمد

رسوله، ثم قالت في صحيفة (١٠): في بلد قفر بواد غير ذي زرع منعزل عن الانسانية المتمدنة، تفجر ينبوع ماء سلسل عذب منعش بين قوم من الهمج جبابرة غلاظ القلوب لا يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد، ذلك الينبوع هو دين الاسلام الذي تدفق بغزارة واتخذ سبيله في الارض سربا فكان نهيراً، استحال بعده الى نهر عظيم، سرعان ما تفرعت منه آلاف الجداول والأنهار التي تغلغلت في البلاد طولا وعرضاً، ولم يلبث الناس أن تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من أمراضهم الاجتماعية، واتحد المختلفون منهم والمتخاصمون وانطفأت نيران الحقد والكراهية المشبوبة في صدورهم وزالت من بينهم أسباب النفور والخلاف، استحال هذا الماء المقدس سيلا جارفا اكتسح بقوته الساحرة بلاداً عظيمة فتل عروشها وطوى مجدها طي السجل للكتب، لم يشهد التاريخ حادثاً مماثلاً لهذا الحادث الخطير لأن السرعة العظيمة التي أتم بها الاسلام فتوحاته كان لها أبلغ الاثر في حياته، اذ انه بعد ان كان عقيدة نفر قليل من المتحمسين، أصبح ديناً لعدة ملايين من الناس، وليت شعري كيف تأتى لهؤلاء المجاهدين غير المدربين أن ينتصروا على شعوب يفوقونهم مدنية وثروة ويزيدون عليهم دربة ومراساً للحروب، وكيف استطاعوا أن يسيطروا سلطانهم على بلاد متسعة الارحاء؟ وان يحتفظوا بفتوحاتهم هذه ويوطدوا هذا الصرح العظيم الذي ثبت امام حروب شديدة استمرت قروناً عديدة فلم تقو على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين؟ وكيف أمكن هذا الدين أن يوطد في نفوس أولئك المهتدين الحديثي الايمان أمتن الأسس؟ وكيف تسنى له أن يحتفظ بجيويته العظيمة التي لم تعرف مثلها ديانة أخرى من قبل، حتى بعد ثلاثة عشر قرناً خلت بعد حياة مؤسسه؟ وكيف استطاع هذا الدين أن يغرس تلك الحماسة الدينية في نفوس أتباعه الجدد المختلفين عن أتباعه الأول في الجنس والثقافة فحذوا حذوهم في الاخلاص له والتضحية في سبيله؟ لعمري ان هذا كله لما يبعث في الانسان الشيء الكثير من الدهشة والذهول. ثم قالت: أفليس من أكبر معجزات هذا الدين الجديد أن يؤلف بين قلوب أقوام

كهؤلاء العرب عاشوا أجيالا عديدة في مخاصمات شديدة، وحروب أهلية مستمرة فعرفوا بفضلله الاتحاد، والاخاء، والسلام ؟ أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً في حكم الدولة الاسلامية الذين كانوا تراجمة ضميره فقد ساروا على سنته التي سنّها لهم وحملوا راية الاسلام الى قلب القارة الآسيوية من جهة، وإلى أمواج المحيط الاطلسي من الجهة الأخرى لم تكن قد مضت سوى ست عشرة سنة عندما سقطت دولة الفرس في أيدي العرب بعد موقعة القادسية، مع أن هذه الامبراطورية ظلت مدى أجيال عديدة في عراك مستمر مع الامبراطورية الرومانية الشرقية دون أن تتغلب احدهما على الأخرى، أما ملك الفرس كسرى فقد هرب من العرب وجعل يلجأ الى اقليم بعد اقليم حتى بلغ حدود بلاده، ومات في سنة ٣١ هجرية، وبذلك صارت امبراطورية الفرس بأجمعها بلاداً عربية. بعد أن زالت مدينتا الدولتين الفارسية، والرومانية،

وتهدمت ديانتاهما، سرى في عروق الشعوب تيار جديد، وانتشرت بينهم ديانة جديدة بسيطة تتحدث الى العقل، وإلى القلب معا، كما ظهر نظام جديد للحكم يفضل كثيراً تلك النظم التي كانت متبعة هناك في ذلك الوقت نظراً لمبادئه الخليقة القويمة، كذلك انتقل مال الجوس من خزائن الاشراف الى أيدي الفقراء وعامة الشعب، وأخذت تتناوله الأيدي مرة ثانية وتستفيد من ثمراته، وقد ظهر في الحكم رجال أذكاء مستنيرون أقاموا حكومة رشيدة تستند الى آراء ديمقراطية صحيحة، وقد تدرجوا في الحكم وتبوأوا أسمى المراكز، ثم لما هدأت عاصفة الفتوحات وما تبعها من فوضى وتعسف، بدأ عهد جديد عهد نجاح وثراء لم تره القارة الآسيوية منذ قرون بعيدة، كما أن المقيهورين كانوا يجدون من حكامهم الجدد كل ضمان لطمأنينتهم ويتمتعون بكافة حقوقهم المشروعة كما أن أرواحهم وأملآهم كانت مكفولة، وبالجملة كانوا يعاملون معاملة اخوانهم المسلمين سواء بسواء . أخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجتماعي الديني السياسي يتساءلون عن سببه الأول ولكن الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون، أو تعمدوا اغماض عيونهم فظلوا يتخبطون

طويلا في مجاهل الغلط والشطط ولم يدركوا أن القوة الالهية هي التي أعطت
الاشارة الأولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق، ولم يشاؤوا أن يصدقوا
أن الحكمة الالهية هي التي اقتضت أن يكون محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،
وسجلت له الى الآن رسالة عامة الى الناس أجمعين بغير تمييز بين جنس
وجنس، أو بين بلد وبلد.

وهنا أخذت الدكتوراة الايطالية تذكر فريات المبشرين وبعض
المستشرقين من الاوروبيين، وترد عليهم فرياتهم وتقص على القراء أخبار
البعثة النبوية بمكة، والهجرة الى المدينة، ومعادات اليهود له صلى الله عليه
وسلم بالمدينة، وتسامحه وتغاضيه في كثير من الأشياء الى أن قالت: وكما
كان النبي يعقد المعاهدات مع خصومه المغلوبين على أمرهم فكذلك فعل
الخلفاء اذ كانوا كلما تمادوا في الظفر والانتصار يرتبطون مع المهزومين بأوثق
المعاهدات ويتركون لهم الحرية في البقاء على دينهم وتقاليدهم القديمة في
مقابل أداء فريضة هينة غاية في الاعتدال وهي (الجزية) التي كانت أقل
بكثير مما كانوا يدفعونه من الفرائض لحكوماتهم السابقة، وكان الخلفاء يشملون
رعاياهم هؤلاء الذين كانوا يسمونهم أهل الذمة بحماية ورعاية لا تقلان عما
كان يتمتع به المسلمون، ولما كانت تعاليم النبي وخلفائه الأول تعتبر بمثابة
قانون للمسلمين فانه يمكن القول بحق إن الاسلام لم يقتصر على التوصية
بالتسامح، بل انه قد أدمجها في قانونه السماوي بحيث صارت قاعدة أصلية
من أصول الدين، فعند ما كان يتم الصلح مع الشعب المهزوم كان المسلمون
يتركون له حرية الفكر وحرية العقيدة ولم يحاولوا حمله بالعنف على تغيير
عقيدته الاولى كما انهم لم يرسلوا مع جنودهم الظافرة حملة من جماعات الوعاظ
والمبشرين الرسميين اللجوجيين بقصد نشر الدين، الى أن قالت: حسبنا ما
قدمناه من الأدلة والبراهين، لأن رجال الغرب أيضاً قد بدأوا يقتنعون بأن
اخلاص محمد في دعوته كان أمراً لا ريب فيه، ولقد كان محمد كرسول يدعو
الى الله، رجلاً رحيماً لين الجانب حتى لأعدائه الشخصيين، وبذلك اجتمعت

فيه فضيلتان كلتهما أكبر الفضائل التي يتصورها العقل البشري وهما الرحمة والعدالة، ولا نرى بنا من حاجة الى ايراد الأمثلة على ذلك، فن السهل الوقوف على كثير منها في الكتب الموضوعة عن تاريخ حياته، وبحسب ان الحرب التي هي أقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة، اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، ولا يهدموا بيوتا لم تتخذ كمعاقل حربية، ولا يدمروا ما بها من اسباب الحياة ولا يمسوا الاشجار المثمرة والنخيل. ثم قالت: والآن وقد انتهينا من الرد على تلك التهم التي وجهت الى الاسلام في الغالب نضع هذا السؤال، كيف لم ينقطع الاسلام عن الانتشار والذيع في افريقيا، وآسيا، رغم حرية الاعتقاد الكبيرة التي يتمتع بها غير المسلمين في البلاد الاسلامية، ورغما من عدم وجود نظام للدعاية الاسلامية، ورغما من الانصراف عن الاهتمام بالشؤون الدينية في هذه الايام الأخيرة وهو الآن لا يسبقه سيف الفاتحين، بل على النقيض من ذلك فان البلاد التي كانت ترفرف فوقها رايته أصبحت محكومة برجال ذوى عقائد أخرى ولم يستطيعوا مع ذلك أن يصرفوا رعاياهم عنه أو يقتلوه من قلوبهم، فأية قوة عجيبة تنطوي عليها هذه الديانة؟ وما هي قوة الاقتناع التي تستند اليها؟ وفي أية عروق النفس البشرية نجد غذاءها وقوام حياتها؟ الى أن قالت في صحيفة (٥٠): ان الناس لتلهف على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية ولا يكون قاصرا على ارضاء مشاعرهم واحساساتهم، ويريدون ان يكون هذا الدين وسيلة لامنهم وطمأنينتهم في الدنيا والآخرة، وليس هناك من دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى دين الاسلام، انه ليس مجرد دين فحسب، بل ان فيه حياة للناس، لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكير والكلام، ويحضهم على فعل الخير وصالح الاعمال، ولذلك سرعان ما شق طريقه الى القلوب والأفهام. اهـ

وقد تطرقت هذه الفتاة الفاضلة الى كثير من المسائل الخلافية الواقعة بين الاسلام والنصرانية واليهودية، ورجحت بالأدلة المنطقية والسياسية جانب

الدين الاسلامي، وقد اقتصرت على ما تقدم خشية الاطالة. ولا ادري اذا وقف الملاحدة على اجاث هذه الفتاة الفاضلة ماذا يكون موقفهم؟ انججلون من جهلهم العميق؟ أم يتمادون في غباوتهم؟ والظاهر أنهم في غباوتهم يعمهون لانهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون.



نظرية داود أركوهات

وجاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) ايضاً عن (داود أركوهات) انه قال: إن الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة، ولا يقول بانزال وحي جديد، وسنن جديدة، وليس فيه كهنوتية، أو معابد سياسية بل فيه دستور الامم ونظام الممالك اء.

وكان مراده الرد على المذاهب المسيحية التي قد حرفتها القساوسة من زمن بعيد، وأخرجت مذهب المسيح عليه السلام عن كل ما نزل على عيسى من الانجيل الصحيح، وتصرفت فيه على حسب مرادها.

نظرية ليون روش

وجاء فيه ايضاً نقلاً عن جريدة (اللواء المصرية) ما عربته عن كتاب بعنوان (ثلاثون عاماً في الاسلام) ألفه موسيو (ليون روش) السياسي الفرنسي الذي اقام في بلاد المسلمين ثلاثين سنة، تعلم في اثناها اللغة العربية وفنونها . وقرأ العلوم الاسلامية . وعاشر المسلمين في الجزائر وتونس والآستانة ومصر والحجاز . وقد اختبر بهذه المدة الطويلة أحوال المسلمين من سائر الطبقات، ولا شك انه قد اطلع على شيء من الكتب الاسلامية المدونة في العقائد والتشريع ، واليك الجملة المعربة . قال موسيوليون روش : اعتنقت دين الاسلام زمنأ طويلاً لأدخل عند الامير عبدالقادر دسيصة من قبل فرنسا . وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الأمير وثوقاً تاماً . واتخذني سكرتيراً، فوجدت هذا الدين الذي يعييه الكثير أفضل دين عرفته . فهو دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعاً فيه، بل انني عدت الى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذاً، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرماً، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر والغو والكذب . فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً . ثم هو لا يستحل محرماً في طلب الرزق . ولذلك

كان اقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين، ولقد وجدت فيه حل
المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً—الاولى— في قول القرآن
(انما المؤمنون اخوة) فهذه أجل مبادئ الاشتراكية —الثانية— فرض الزكاة
على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصباً ان امتنع الاغنياء عن
دفعها طوعاً وهذا دواء الفوضوية .

هذا ما قاله الموسيوليون روش الفرنسي عن التشريع الاسلامي وما فيه
من الحكم التي تزيل من المجتمع الانساني (الاشتراكية والفوضوية) غير أن
ما قاله في مسألة الزكاة من كون التشريع الاسلامي يخول للفقراء حق أخذ
الزكاة من الاغنياء غصباً اذا امتنعوا عن أدائها، لم يكن الامر في الاسلام كما
قال، فان الشريعة الاسلامية لم تخول للفقير أن يأخذ الزكاة من الغني قهراً اذا
امتنع عن دفعها له، وانما خولت ذلك للخليفة أو أمير المؤمنين، أو السلطان،
كما عمل الخليفة الاول ابوبكر الصديق رضي الله عنه في قتال من امتنع عن
الزكاة .

ثم قال الموسيو (ليون روش) عن الدين الاسلامي اجمالاً: انه دين المحامد
والفضائل، ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام
التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ولكن
وجد بينهم ويالأسف شيوخ يحرفون كلمه ويمسخون جماله ويدخلون فيه ما
ليس منه . الى آخر كلامه .

هذا ما يقوله ليون روش عن محاسن الاسلام، وقد صدق في قوله: لو انه
وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم . وقوله: ويالأسف وجد بينهم شيوخ
يحرفون كلمه، الخ . فان الدين الاسلامي أصيب بكثير من المصائب الداخلية
والخارجية . وكانت مصائبه الداخلية أشد وأشنع وأفظع من مصائبه الخارجية .
وذلك قد دخل على الدين الاسلامي بعد عصر الخلفاء الراشدين كثير من
البدع والخرافات والعقائد الفاسدة من معتزلة وروافض ودهريين والحاديين

ومشككين ودجالين ومشعوذين وقصاصين خرافيين، وأخذ هذا الحال يتطور بحسب تطور الأزمان ويتسع نطاقه الى هذا العصر الذي أصبح معظم المسلمين فيه بعيدين عن التمسك بأساس الدين الاسلامي الصحيح الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، حيث قد كثر التفرنج في المنتسبين اليه وطفى سيل الاحاد والتشكيك حتى كاد يجترف معظم الشبيبة الاسلامية، بسبب أن اكثر اساتذة المدارس في البلاد الاسلامية المستعمرة الحاديون ويزعمون انهم من المسلمين لكون آبائهم كانوا مسلمين وسموهم بأسماء المسلمين، وما نسبتهم الى الاسلام الا خدعة لاغراء آباء التلامذة، والا فهم من أذئاب المبشرين وقد ساعدتهم الظروف حال غفلة المصلحين من المسلمين وجهل آباء التلامذة الذين رمتهم الاقدار في تلك المدارس التي قد تربع على كراسي التدريس فيها وفي الاندية والمجتمعات أناس لم يدخل الايمان في قلوبهم من أصل نشأتهم وان سموا انفسهم بأسماء المسلمين، واخذوا يلقون على مسامع تلك الناشئة الاسلامية صنوف الاحاد، والتشكيك، والظعن في القرآن المجيد، والتشنيع على التشريع الاسلامي والخط من كرامة رجال العلم والاصلاح، أولئك الذين هم سلف الامة الاسلامية الصالح، ويشككونهم في صحة كتب الاسلام التي دبّجها يراع فطاحل العلماء الأجداد الذين قد ضحوا بحياتهم في خدمة الاسلام والمسلمين، ويرمون مؤلفيها بالجمود والرجعية والغفلة والوهم والجهل والغباوة، وان عموم ما دونه حديث خرافة لا أصل له، مع انهم هم بذلك أجدر، وأصبح وبالأسف أن هؤلاء المردة اخوان الشياطين هم أكثر عدداً في العصر الحاضر من رجال الاصلاح في كثير من البلاد الاسلامية وبالاخص في البلاد المستعمرة، وصار رجال الاصلاح مكتوفي الايدي، مكومي الافواه، لا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة الا وقد تكالب عليهم رجال الاستعمار، والتبشير، وفي مقدمتهم الملاحدة المنتسبون الى الاسلام خدعة، ومن ورائهم آباء التلاميذ أولئك الذين لا يعرفون من الاسلام غير اسمه، لان غايتهم من تعليم أبنائهم في تلك المدارس هو حب الشهرة وكون أبنائهم يخرج أحدهم من المدرسة وهو يحمل تحت ابطة شهادة مهندس،

أو محام، أو كيماوي، ولو فقد في سبيل ذلك دينه وجامعته الإسلامية، حيث لا يهم ذلك الأب الغبي من أمر دينه شيء لجهله بالدين وما جاء به سيد المرسلين من عند رب العزة من الهدى ودين الحق وربما كان ظنه على أن الدين الإسلامي هو عبارة عن الجنسية الإسلامية فقط . والذي جعل الأبناء بهذه الصفة من الجهل هو إهمال آبائهم وولادة أمرهم لهم لكونهم لم يعلموهم على الأقل مبادئ الدين الخفيف، أليس من الخجل أن يكون الموسيوي (ليون روش) عرف ذلك وكثير من المسلمين يجهلون، هذا ما دعاني إلى التعليق على كلامه، والله الهادي إلى صراطه المستقيم .



نظرية روبرتسون

وجاء في كتاب (الاسلام روح المدنية) ايضاً عن (روبرتسون) المؤرخ الانكليزي الشهير بصحيفة (٦١) ما خلاصته: في الزمن الذي كان يتدارس فيه العرب هذه العلوم وينشرونها في بلادهم كانت اهالي أوروبا في حالة لازالوا هم ذواتهم يندبونها حتى اليوم، ولم يستفيقوا من ذلك الجهل المفرط والنوم العميق الا بواسطة شروعههم في تلك الغزوات الصليبية الوحشية التي أجروها ضد المسلمين بقصد استخلاص البلاد المقدسة من أيديهم، وحيث مروا في غزواتهم هذه وسيرهم جهة بلاد أورشليم بأرض نضيرة اكثر من أراضيهم وبدول متمدنة اكثر من دولهم، ووجدوا في آسيا آثار تلك العلوم والفنون التي كان أسسها واعان على تحصيلها الخلفاء العباسيون ا هـ.

فهذا الاستاذ (روبرتسون) الانكليزي يصرح بأن غزوات أوروبا للمسلمين في فلسطين كانت وحشية، وان تمدن الاسلام كان أفضل من تمدن أوروبا، وان عمران المسلمين كان ابقى وأجل من عمران أوروبا، فعسى بعد هذا أن يخجل الملاحدة ومن على شاكلتهم مما هم فيه ويتركوا التشيع الباطل الذي يخلقونه ضد الاسلام والمسلمين.

نظريّة لوثر وب

وقد ذكر (لوثر وب ستودارد) الامر يكي في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) في المقدمة عن الاسلام ما خلاصته قال: كاد يكون نبأ نشوء الاسلام النبأ الاعجب الذي دون في تاريخ الانسان، ظهر الاسلام في أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضة الكيان، وبلاد منحطة الشأن، فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف الارض، ممزقا ممالك عالية الذرى مترامية الاطراف، وهادما أديانا قديمة كرت عليها الحقب والاجيال، ومغيراً ما بتفوس الامم والاقوام، وبانياً عالماً حديثاً متراص الاركان، هو عالم الاسلام، الاسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية تجوب فيها شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل ربيعة المكانة والمنزلة في التاريخ، فليسرعان ما شرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته في جهات الارض مجتازاً أفدح الخطوب وأصعب العقبات، دون أن يكون له من الامم الاخرى عون يذكر ولا ازر مشدود، وعلى شدة هذه المكارة فقد نصر الاسلام نصراً مبيناً عجيباً، اذ لم يكد يمضي على ظهوره اكثر من قرنين حتى باتت راية الاسلام خفاقة من (البرانس) حتى (هملايا) ومن صحاري اواسط آسيا حتى صحاري اواسط أفريقيا. كان لنصر الاسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه، اكبرها أخلاق العرب، وماهية تعاليم صاحب الرسالة وشريعته، والحالة العامة التي كان عليها المشرق المعاصر في ذلك العهد. ان العرب وان كان ماضيهم ما برح منذ عهد متطاوّل في القدم حتى عصر الرسالة ماضياً غير مشرق باهر، فقد كانوا

أمة استودعت فيها قوة عجيبة، تلك القوة الكامنة التي بدأت منذ نشوء الاسلام تظهر جليلة الى عالم الوجود، فقد ظلت بلاد العرب اجيالاً طويلاً من قبل محمد مباءة يشتد فيها تزخار القوى الحيوية، وجيشان العوامل الروحانية كيف لا وكان العرب قد فاقوا آباءهم وأجدادهم ايغالا في الشرك والوثنية وانقضى عليهم وهم على هذه الحالة عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر أمرجتهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بقعل غرائزهم وأخلاقهم الى تبديل حالهم وتحسين شأنهم . هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية حالة الاستحالة الكبرى والانقلاب العظيم والاستجداد الكبير، لما صاح فيهم نفير الاسلام أن محمداً وهو عربي من العرب، الآ(١) روح قومه متجسدة ونفسهم متجسمة، استطاع محمد وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عارياً عن زخارف الطقوس والباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية، وهي الغيرة الكامنة متمكنة على الدوام في كل شعب من الشعوب السامية، واذهب العرب لنصرة دعوة ابن عبدالله من بعدما ذهبت من صدورهم الاحن المزمنة والعداوات الشديدة التي كان من شأنها من قبل الذهاب بمحلوهم وقوتهم، وانضم بعضهم الى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة في رأسه نور للناس وهدى للعالمين . اخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحارهم في شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الاله الاحد، الفرد، الصمد، ثم ذكر هنا ما كانت عليه فارس والروم من الانحطاط الاخلاقي والديني الى أن قال:- ولم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الاعظم من هذه الامم المغلوبة قد دخل في دين النبي العربي أفواجا، ايثاراً له بمجده وسداجته على ذينك الدينين اللذين صارا غاية في الانحطاط والتدني . وقد عرف العرب بدورهم كيف يستدني الحكم ويوثق السلطان حتى دانت لهم أمور الملك واستقرت نقطة دائرتها في أيديهم، فالعرب لم يكونوا قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير بل كانوا على الضد من ذلك، أمة موهوبة جليلة الاخلاق والسجايا تواقه الى ارتشاف العلوم محسنة في اعتبار نعم التهذيب .

(١) هكذا وجدت هذه الجملة بهذه الألفاظ .

وقد اتى (لوثروب) على حالة تضعضع الاسلام بعد شموخه . وعن الاسباب التي دعت الى ذلك بحسب ما ظهر له وعن حالة الاسلام في العصر الحاضر وحيث لم يكن ذلك من بحثنا في هذا الكتاب فقد اكتفينا بما تقدم ذكره، ومنه يتضح للقارئ اعترافه بأن دين الاسلام هو دين العدل والحرية والحضارة والمدنية والتقدم والرحمة والشفقة .

وجاء في كتاب (الاسلام في عصر العلم) للاستاذ فريد وجدى في الجزء الاول بصحيفة (٢٧٧) عن المؤرخ (دروى) احد وزراء فرنسا السابقين انه قال: بينا أهل أوروبا تائهون في دجى الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوي من جانب الامة الاسلامية من علوم وادب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة، وسمرقند، ودمشق، والقيروان، وبصرى، وفارس، وغرناطة، وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم واغتنت منها اهل أوروبا في القرون المتوسطة صناعات وفنوناً .

نقل المؤرخ (سيديو) عن (هوبلد) ان العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة بين الامم المنتشرة من شواطئ الفرات الى الوادي الكبير باسبانيا وبين العلوم وأسباب التمدن فتناولتها تلك الامم على ايديهم، لان لهم بمقتضى طبيعتهم حركة تخصهم اثرت في الدنيا تأثيراً لا يشبه بغيره — ثم قال: وهذه حجة على انهم كما قال غيرنا ونحن نعتز به (اساتذتنا ومعلمونا) اهـ، وهذا اعتراف منه صريح بأن العرب يعني المسلمين هم اساتذتهم ومعلموهم، والمعتزف هذا وزير من وزراء فرنسا كما ذكرناه .

نظرية الأستاذ درابر

وجاء فيه أيضاً عن الاستاذ (درابر) استاذ كلية (نيويورك) بأمريكا بصحيفة (٢٧٨) انه قال: ان اقوى واكبر الممالك الدينية التي لم ير العالم مثلها قد ولدت فجأة، وامتدت من المحيط الأطلنطي الى اسوار الصين، ومع ذلك فلم تك قد بلغت نهاية ما قدر لها من الامتداد والنفوذ، فلقد اتى عليها بعد ذلك حين من الدهر طردت فيه خلفاء القياصرة وملكت بلاد اليونان، ونازعت النصرانية السلطة على اوروبا، ونشرت نفوذ عقائدها خلال الصحارى الوحشة، والغابات الموبوءة، من اول شواطىء البحر الابيض الى خط الاستواء، لقد طافوا (اي العرب) معاهد الفلسفة والعلم بسرعة تشبه السرعة التي طافوا بها مملكة الرومان، انا لتأخذنا الدهشة أحياناً لما نصادف في كتبهم آراء علمية كنا نظنها نشأت في هذا القرن، من هذا القبيل مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية فقد كان يدرس في مدارسهم.

وقال الاستاذ (درابر) عن مدينة الاسلام، والامة العربية: ان خلفاء الاندلس كانوا محاطين بأنواع الأبهة التي هي من لوازم الحياة الشرقية، وكان لهم قصور عامرة، وحدائق زاهرة، وسرايات (اي قصور) يعمرها الجلالة والجمال، وان اوروبا الحالية (اي في حالتها العصرية) لا تعلق في حسن الذوق والرفقة والظرف في شيء من أشيائها عما كان في العواصم، مضادة بالليل، مبلطة تبليطاً متقناً، وكانت البيوت مفروشة بالبسط ومزينة حوائطها بالنقوش، وكانت تسخن في الشتاء بالمدافىء، وترطب في الصيف بتيارات

من النسمات العطرة تصل اليها من سراديب تحت الارض مغطاة فوهتها
بالأزهار الزكية، وكان لهم حمامات ومكاتب، ومجلات للغذاء، وفوارات
للمياه والزئبق، وكانت المدائن والارياف حافلة بالاحتفالات والرقص الذي
كانوا يأتونه على نغمة (العود) و(المزهر) وكان شعار العرب في ملاعبهم
القناعة وطلاقة النفس، بخلاف جيرانهم الغربيين فقد كان ديدنهم النهم في
الاكل والادمان للسكر، وكان الخمر حراما عليهم لا يقربونه، وكانوا يتمشون
في حدائقهم في الليالي القمرية وفي غياضهم المنعزلة المزروعة برتقالا، وهم
يصغون الى قصة ادبية او يتحاورون في بعض المواضيع الفلسفية، مسلمين
أنفسهم عن أحزان الدنيا بقولهم: انها لو كانت خالصة من شوب الآلام
لأنستنا الحياة الآخرة، وراضين بالكد والتعب في المعيشة الارضية املا في
نوال الرحمة الاخرية الدائمة.

وجاء في كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٠٦) عن الاستاذ
(دراي) ايضا انه قال: سلك العرب الى اوروبا المسلك نفسه الذي سلكته
ادبياتهم، وطريق جزيرة صقلية، وما ساعد على انتشاره في اوروبا اعتزال
البابوات، فلهذا السبب يتمكن العلم العربي من ترسيخ قدميه في جنوب
ايطاليا الى ان قال:- واول مدرسة انشئت للطب في اوروبا هي المدرسة
التي أسسها العرب في (بالروم) من ايطاليا، واول مرصد اقيم فيها هو ما اقامه
المسلمون في اشبيلية باسبانيا- ثم قال:- ولو اردنا ان نستقصى كل نتائج
هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم
القديمة ترقية كبيرة جداً، وأوجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم - ثم
قال:- ان اوروبا في ذلك العهد كانت غاصة بالغابات الكثيفة من اهل
الناس للزراعة، وكانت المستنقعات قد كثرت حوالى المدائن فكانت تنتشر
منها روائح قتالة اجتاحت الناس واكلتهم، ولا مغيث لهم وكانت البيوت
في (باريس) و(لندن) تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب،
ولم يكن فيها نوافذ ولا ارضيات خشبية، اما الابسطة فكانت مجهولة لديهم،

وكان يقوم مقامها القش ينشرونه على الارض نشرأ، ولم يكونوا يعرفون
المداخن فكان الدخان يطوف البيت ثم يتسرب من ثقب صنعوه له في
السقف، فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات
الخطيرة، وكان الناس لا يعرفون معنى النظافة فيلقون بأحشاء الحيوانات
وأقذار المطابخ امام بيوتهم اكواما اكواما، تتصاعد منها روائح قاتلة، ولا رقيب
ولا حسيب وكانت الاسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء
وأطفال وكثيراً ما كانوا يؤوون معهم الحيوانات المنزلية، وكان السرير عندهم
عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف كمخدة، وكانت النظافة
معدومة لديهم لا يعرفون لها رسماً، وكان الغني منهم لا يأكل اللحم الا كل
اسبوع مرة، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح . هذه الجهالة كان
من اثرها على اوروبا ان عمتها الخرافات والاوهام، فأنحصر التداوى في
زيارة الاماكن المقدسة، ومات الطب واحييت احابيل الدجالين . وقد كان
اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ولم يلتفتوا لامر النظافة،
فكانت تفتك بهم الأوباء فتكا ذريعاً، حتى انها زارت اوروبا عدة مرات
فاجتاحت الملايين من اهلها في ايام معدودة وقد كان الموت في اوروبا في
هذه العصور بنسبة واحد الى ثلاثة وعشرين فصار اليوم واحد الى اربعين
— ثم قال: — لم تكن أوروبا العصرية بأعلى ذوقاً ولا أرقى مدنية ولا ألطف
رونقاً من عواصم الاندلس على عهد العرب .

ثم اخذ الاستاذ (دراير) يصف مدنية العرب بالاندلس من عموم نواحيها
بصفات لا نظير لها في أوروبا اليوم . وكل ما ذكرته من قوله المتقدم هو صورة
مصغرة عن حالة أوروبا في هيجيتها التي كانت عليها في العصور التي كان
الاسلام فيها سيد العالم والامم . وقد أسهب غيره من الاوروبائين
والامريكان في مدنية الاسلام وحضارته وعمرانه فتركت نقله خشية الاطالة
لان ذلك معلوم عند كل باحث ومزاوول لقراءة التاريخ ولا يجهله الا كل
غبي أحمق .

وقال الاستاذ (دراي) ايضاً عن المكاتب العمومية بالاندلس: ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل أن يتصلوا الى تكوين المكاتب التي تكلمت عنها. وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس على ستمائة ألف مجلد، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة في اربعة واربعين مجلداً، وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة، وكثير من المكاتب الخاصة، واما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة اساتذة الجامعة ان يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه. ولقد كتبوا في كل فن وفي كل علم كالتاريخ والتشريع والسياسة والفلسفة والتراجم وتراجم الخيول والابل. وكل هذه المؤلفات كانت تنشر دون رقابة ولا حجر. وقد كانت الكتب زاخرة بالمعلومات التي تصلح لان تتخذ مادة كثيرة جداً في الجغرافيا والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة. وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد ابو عبدالله. وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض وفي اعطاء المداد الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من المداد والابداع في تنميقها وتذهيبها على صور شتى. وكان الملك الاسلامي العربي يحرص بالمدارس والمكتبات وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها. وكان في طرف من اطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيراً (مرصد) في سمرقند لرصد الكواكب. وكان يقابله في الطرف الآخر (مرصد) جيراك في الاندلس.

ثم قال الاستاذ (دراي): ولو أردنا ان نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب. فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً، وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم. والفلكيون من العرب قد اهتموا ايضاً بتحسين آلات الارصاد وتزويدها. وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائتة والسطوح المدرجة الشمسية. وهم اول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض. اما في العلوم

(التجريبية) فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضاً من محللاتها الشهيرة (بحمض الكبريتيك) و(حمض النتريك) و(الكحول) وقد استخدم العرب علم الكيمياء في الطب، لانهم اول من نشر علم تحضير العلاجات و(الأقرباذينات) واستخراج الجواهر المعدنية أما في علم (الميكانيكا) فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة، اما في (الايدروستاتيك) فقد كانوا اول من عمل الجداول المبنية لضروب الاوزان النوعية، وكتبوا اجاثا في الاجسام السابجة، والغائصة تحت الماء، اما في نظريات (الضوء والابصار) فقد غيروا الرأي اليوناني الذي مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئي، وقالوا بعكس ذلك اي ان الابصار يحصل بوصول شعاع من المرئي الى العين، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الاشعة وانكسارها، وقد اكتشف الحسن الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو، وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل ان يظهرها حقيقة في الافق، وكذلك نراها في الغروب بعد ان يغيبا بقليل.

ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم، فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد، وتربية الحيوانات، وسن النظمات الزراعية الحكيمة. وادخال زراعة الارز والسكر والبن، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن، وكانوا يذيبون المعادن ويجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها، واننا لندش حين نرى في مولفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر، من ذلك ان مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس في مدارسهم، وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى ابعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن ايضاً اهـ .

هذا بعض ما حدث به استاذ كلية نيويورك بامريكا (دراير) عن مدينة الاسلام، وحضارة الاسلام، وفنون الاسلام، ومخترعات الاسلام، وفلسفة الاسلام، ومصنوعات الاسلام، وان المسلمين هم اول من وضع الرصد

للافلاك، واخترعوا الكيمياء، وان العرب هم الذين أسسوا في مدن أوروبا الحضارة والصناعة، وكل دواعي المدنية والعمران وان اول مدرسة أنشئت في أوروبا للطب كانت التي أسسها العرب، وأول مرصد أقيم في أوروبا أيضاً أقامه العرب. وكان حديثه منحصراً في الحضارة الاسلامية من الوجهة الفنية، والظاهر ان بحثه كان على حسب ذوقه حيث انه لم ينظر الى الاسلام من الوجهة الدينية، كما نظر اليها الكونت هنري دي كستري، والاستاذ كارليل وغيرهما وانما اراد ان يظهر للعالم الغربي ان مدينة العرب التي وصفها جاءتهم عن طريق دينهم الاسلامي وارشاده لهم بالتفكير والعمل في عموم مواد الحياة الاجتماعية والعمرانية، مع ان كثيراً من المسلمين يجهلون تلك الحضارة العظيمة، والمدينة الضخمة التي اصبحت محل اعجاب الاستاذ (دراي) وغيره، ومن المؤسف ان كثيراً ممن ينتسب الى الاسلام يظن ان كل شيء وجد في الدنيا كان من نتائج اعمال الغرب وحضارة اهله، مع ان الحقيقة غير ذلك، وانما بسبب تقاعد المسلمين عن واجهم الاجتماعي والعمراني في العصر الحاضر جعل أمثال هؤلاء الجهلاء بتاريخ الاسلام، وعمران الاسلام، ومخترعات أبطال الاسلام، يظنون ان كل حضارة وعمران هو من مبتكرات الغرب، وهذا الذي دعاني الى الاستشهاد بأقوال عظماء الغرب وفي مقدمتهم الاستاذ (دراي) حيث انه قد تتبع في ابحاثه علوم الاسلام الفنية وبالاخص ما كان من الأمة العربية التي كانت قبل اعتناقها للدين الاسلامي أقل عمراناً وتمدناً من فارس، والروم، واليونان، ثم لما اعتنقت الاسلام وسارت على تعاليمه أصبحت بعد برهة من الزمن أرقى الأمم المعاصرة لها ثم تقدمت تقدماً مذهشاً حتى صارت هي المؤسسة لمعظم الفنون التي وصلت اليها في العصر الحاضر عن طريق الغرب، وكل ذلك كان بارشادات الدين الاسلامي الذي كان يحثهم على السير في الأرض، والعمل بكل ما فيه خيراً الدنيا والآخرة، وذلك فائض في القرآن المجيد في كثير من آياته بقوله تعالى (قل سيروا في الأرض) وقوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وهذه الآية تشير الى ما يعبر عنه في العصر الحاضر (بعلم النفس) وقوله تعالى (أولم ينظروا في

ملكوت السماوات والأرض) وقوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وهذه الآية تشير الى علم الفلك وغير ذلك من الآيات البينات المحرصة على العمل .

فهل — والحالة هذه — يعتبر الدين الاسلامي عقبة كؤوداً في سبيل تقدم العالم الاسلامي في العلوم والمعارف كما يزعم اعداء الاسلام؟ فلا وربك لم يكن الاسلام عقبة في سبيل تقدم المسلمين في العصر الحاضر، وانما المسلمون هم العقبة على أنفسهم وهم الذين تقاعدوا في العصر الحاضر عن دراسة ما فيه صلاحهم الدنيوي والأخروي، فتكاسلهم وتقاعدهم عن القيام بالواجب الديني هو الذي جعلهم مستعبدين للغرب واذلاء في أوطانهم، وجهلاء بمصيرهم . فلا حول ولا قوة الا بالله .



نظرية الأستاذ سنكس

وجاء في كتاب (الاسلام في عصر العلم) بصحيفة (٣٦٨) ان الاستاذ (سنكس) كتب في مجلته الروحية مقالا عنوانه (محمد) صلى الله عليه وسلم وهو: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبارجاعها الى الاعتقاد باله واحد، وبحياة بعد هذه الحياة — ثم قال: — ان الديانة الاسلامية أحدثت رقياً كبيراً جداً في الفكرة الدينية في العالم، وخلصت العقل الانساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان ذوى الصبغ الدينية المختلفة، نعم ارتقى العقل بواسطة الاسلام للاعتقاد بحياة أخروية، وهذه العقيدة هى الوازع الأقوى في محاولات الانسان المادة، والى الاخبات لاله واحد يستطيع ان يعبد نفسه دون مداخلة أحد بينه وبينه، وان يرتقى في مصاعد كرامته الى مجال أنواره دون وساطة الوسطاء، ولا شفاعة الشافعين من بني جنسه، ولقد توصل محمد بمحوه كل صورة في المعابد، وابطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق، والى تخليص الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة التي كانت من لوازم الفكر البشري في القرون الخالية، واجبر النوع الانساني بتأثير هذه التعاليم لأن يرجع الى نفسه ويبحث عن الله تعالى خالقه في أعماق روحه وصميم سره. — يستطيع أن يرتفع بهذه العقيدة النقية اليه تعالى بواسطة العبادة القلبية المملوءة احتراماً وشكراً ومحبة،

ولقد قصر الناس في الالتفات الى ذلك الرقي الأدبي الباهر الذي تم بواسطة الديانة الاسلامية، وقد حصل هذا الرقي بعيداً عنا لدى شعوب يسهل علينا وصفهم بالمتوحشين ظلماً بمجرد كونهم لا يخضعون لأفكارنا، ولا يقولون بعقائدها، ولأنهم أحط منا في العلم والفكر، ولكن مع كل هذا يجب علينا ان نعترف بأن هذه الحركة الدينية قد رقت ولم تزل ترقى الى اليوم عقول أمم شتى من سكان هذه المعمورة، أما الاسلام في ذاته فهو في نظرنا اليوم على شرط تخليصه من كل التعاليم التي ألصقتها به الشعوب الطفلة، ومن كل الشروح الباطلة التي شرحت بها أقوال النبي (محمد صلى الله عليه وسلم). اكبر وأعظم ما يدركه الانسان من معنى الدين وتعاليمه في العلاقات التي يجب ان تكون بين الانسان وخالقه هي اكثر التعاليم انطباقاً على نوااميس الطبيعة وقوانين العقل الانساني.

هذا ما قاله الاستاذ (سنكس) عن الدين الاسلامي وكونه هو الذي رقى عقول البشر وانتشلها من القيود الثقيلة التي كانت مأسورة بها حول الهياكل، ومن قوله المتقدم يعلم انه قد رجح العقائد الاسلامية التي هي عقيدة السلف الصالح، وبعبارة اوضح العقيدة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، قبل ان تدخلها بعض آراء المعتزلة، والمشبهة واهل البدع والخرافات، حيث هي العقيدة التي خلصت البشر من الواسطة او الوسطاء بين المخلوق والخالق، وبها قد خلص النبي صلى الله عليه وسلم الفكر الانساني من عقيدة التجسيد الغليظة. وقد جاء ذلك صريحاً في القرآن المجيد في قوله تعالى: (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) وقوله تعالى: (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان الواسطة بين العبد وربّه. ومن المؤسف المبكي ان هذا المستشرق عرف ذلك، ورجح العقائد الاسلامية الصحيحة على العقائد المسيحية مع انه مسيحي المذهب، وان كثيراً من ينتسب الى الاسلام يجهلها ويعتقد خلافها. ويظهر مما تقدم ان الاستاذ (سنكس) استنتج مقاله هذا

من مذهب استحضار الارواح بعد ان طالع بعض كتب العقائد الاسلامية،
ودرس شيئاً عن البعث والنشور، والحياة البرزخية والحياة الأخروية الأبدية .
وهذا العلم الذي هو استحضار الأرواح قد غير كثيراً من عقائد الماديين
والطبيين في أوروبا وأمريكا، وجعلهم يفكرون في خالق الأرواح،
والروح نفسها، وكيف بقاؤها في عالم الوجود، مع انهم الى الآن لم يستطيعوا
ان يصلوا الى كشف حقيقة الروح كشفاً فنياً، ولما اعيتهم الحيلة وأصبحوا
مكتوفي الأيدي امام سر الروح بعد ان استعملوا عموم الطرق المادية وفحصوا
نظريات علمائهم في سر الروح، حيث كلما بنوا بحثهم على نظرية من تلك
النظريات ظهر لهم فسادها، أخذوا يدرسون سر الروح في الكتب المقدسة ولم
يجدوا بغيتهم الا في القرآن المجيد الذي هو كتاب الله المنزل على نبيه العربي
محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)
فعلموا ان الوصول الى معرفة حقيقة الروح أمر مستحيل على
البشر . فهذا الذي جعل المفكرين منهم يعتقدون بوحداية الله تعالى وانه
الخالق والموجد لهذا العالم الكبير، وان المادة والطبيعة، هما من مخلوقات الله
تعالى وكذلك توصلوا بعد البحث فيما جاء به القرآن المجيد أن هناك أشياء لم
يصل العلم الحديث الى حلها، مثل الملائكة والجن والشياطين، وغير ذلك من
المخلوقات التي لا تدركها الحواس الخمس، ولا يمكن الوقوف على كنهها الا
عن طريق الوحي . وهذا ليس له طريق غير طريق الدين الاسلامي، وما
حدث به نبي الاسلام، لانه هو الدين الوحيد الذي فيه صفة الله سبحانه
وتعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تأويل، وهو الذي حدثنا عن
بقاء الارواح، وعدم فناؤها، وانها بعد مفارقة الاجساد تكون على حالتين اما
نعيم مقيم، او عذاب مخلد، وذلك بقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) والمراد هنا بالحياة هي حياة
الروح البرزخية، كما قال صلى الله عليه وسلم عن أرواح الشهداء انها في
حواصل طيور خضر ترتع في الجنة .

نظرية جول لا بوم

وجاء في كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (٩٥) عن الموسيو (جول لا بوم) انه قال: لاجل ان يفهم الانسان تمام الفهم اي دعوة من الدعوات يلزمه اولا الايام مجال الداعي في ذاته، ولجل ان يقدر قدر دعوته يجب عليه أن يدرس الجهة البشرية التي وجه همته للتأثير فيها، هذا هو الغرض من هذه النبذة الوجيزة التي خصصنا بها المشرع العربي — يريد النبي صلى الله عليه وسلم — مؤسس ما يمكن تسميته (بالجامعة الاسلامية) حوالي ميلاد محمد في القرن السادس الميلادي كان جو العالم ملبداً بغيوم الاضطرابات والفتن، فكان شعب (الويزيغو) الآريين في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يصاولون الملك (كلوفيس) وأولاده الكاثوليكين فكانوا من أجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو (جوستينيان) ثم أجبروا على الدخول معه في حرب جديدة، تخلصاً من سلطة القواد الذين جاؤوهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين، لا مجرد ولاء المساعدين المنجدين . اما في فرنسا نفسها فكان أولاد كلوفيس هذا متغادرين متسافكين، وكانت الحروب التي شبت بين الملكة الويزيغوتية (برنو) والملكة الفرنكية (فريد مجونه) تهيء للتاريخ أشد الصعافات اثاره للأسى والكمد . اما في (انجلترا) فكان الانجلو ينازعون الساكسونيين الارض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية (كيميريس) وهم أقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تتطلع اليوم للوقوف في مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة، وهي التي كانت في

ذلك مجالا للقوة والوحشية السائدة في تلك الغياهب الخالكة. أما في (إيطاليا) فكان اسم (الرومان) وهو ذلك الاسم الشامخ، قد فقد القيمة القديمة، وكانت رومية وهي الشظية الاخيرة أو رأس ذلك التثال الكبير المنهشم (يعني مملكة الرومان) في حالة تمللها من استحالة أمرها الى مركز ديني بسيط ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمها القديمة ايام كانت مركزاً دينياً أصلياً، فكانت تهيء نفسها لان تكون مركز البابوية، وهي تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة (سالماني) ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان. اما المملكة (اليونانية) فكانت قد نسيت مجدها القديم فصارت تابعة لمملكة الرومانيين الشرقية، مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء. وكان شرق أوروبا مقلقاً جنوبها من أول مصاب نهر الرين من جهة الشرق.

واخذ الموسيو (جول لابوم) يصف الاضطرابات، والاختلالات السياسية والادارية والاجتماعية، في أوروبا وآسيا وافريقية، وفي جزيرة العرب، بحالة وحشية فظيعة الى ان قال: في عهد هذه الاحوال الخالكة، وفي وسط هذا الجليل الشديد الوطأة، ولد محمد بن عبدالله في ٢٩ اغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية. اهـ.

هذا ما قاله الموسيو (جول لابوم) عن الاضطرابات والقلقل التي كانت مستحوذة على العالم أجمع في ذلك العهد وفي نهاية حديثه قال: ولد محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر شيئاً عن نبي الاسلام، ولا دين الاسلام، ولا كتاب الاسلام الذي هو القرآن، ولا عن حضارة الاسلام، ولا مدينة الاسلام ولا عن العمران الذي قام به الاسلام في القارات الثلاث. وربما هنا يعجب القارئ من نقلنا لحديث الموسيو (جول لابوم) الخالي عن وصف الاسلام بشيء مما وصفه به غيره من المستشرقين الذين قد نقلنا شيئاً من نظرياتهم في الاسلام بهذا الكتاب. فالذي دعاني الى نقل حديثه ما ظهر لي انه قصد من ذكره لتلك الاضطرابات والاختلالات ان يظهر لاهل

العصر الحاضر الذين يجهلون حالة العالم والممالك التي كانت في ذلك العصر الذي وجد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاختلال، وإن وجود النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الحال كان من لطف الله تعالى على ذلك العالم المضطرب الذي قد اعتورته الفوضى من جميع انحاء، فأرسله الله تعالى رحمة للعالمين ليصلح ذلك الفساد، ويزيل الفوضى من وجه الارض، ويقودهم بنظام رب العزة جل وعلا، ليخرجهم من الظلمات الى النور. وهذا مما يثبت قولنا من ان النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بنظام العالم والامم، وبالمدنية الراقية النقية من كل خلعة، ودعارة، وفوضى، وتعسف، وغطرسة في الوقت الذي كانت حاجة العالم الى ذلك النبي الكريم شديدة لينقذهم من جحيم الفوضى، حيث لا نظم عادلة، ولا تشريع يؤثر، فكان الامر كما ذكرنا والحال كما وصفنا، ولم ينكر ذلك الا من أعمى الله بصره وبصيرته .



نظرية الأستاذ جيبون

وجاء في كتاب (الاسلام دين عام خالد) بصحيفة (١٥٨) نقلا عن الاستاذ (جيبون) المؤرخ الانكليزي المشهور عند ذكره الحماية والرعاية التي بذلها المسلمون للعلوم انه قال: كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند، وبخارى، الى فارس، وقرطبة، ويروي عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائة ألف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد، ووقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويا، وكان عدد طلبتها ستة آلاف، لا فرق فيهم بين غني وفقير.

هذا ما قاله الاستاذ (جيبون) عن تقدم العلم والتعليم في حالة يقظة المسلمين في العصور المتقدمة، وذلك كان عن سخاء الاسخياء ممن كان ذا مال وجاه، وقد حدثنا التاريخ بأعظم مما ذكره الاستاذ (جيبون) عندما كان المسلمون يجودون بسخاء على المشروعات العلمية، ومن المؤسف المبكي ان الامر صار في العصر الحاضر على عكس ما كان في تلك العصور المنيرة بأهلها، والمستنيرة بأبطالها، وأصبح ذلك العمل المجيد حكاية يتلذذ المسلم من سماعها، ولا نرى من أغنياء المسلمين في العصر الحاضر من تأخذه الارباحية بنشر العلم والمعارف في الاقطار الاسلامية اللهم إلا بنسبة واحد في المليون من المسلمين وهذا ناتج عن تأخر المسلمين في عموم حالاتهم الدينية والدنيوية والاخروية، ولو ان كل فرد من أغنياء الاسلام في العصر الحاضر فكر في نشر العلم وجاد في سبيل ذلك بنسبة واحد من مائة من أصل ثروته، لانتشر

العلم، وعم القاصي والداني، وزال الجهل، واصبح كل فرد من افراد المسلمين خصوصاً ممن استفاد من ذلك العلم اما لنفسه، او لابنه، لسان شكر وثناء، وتخلد ذكر ذلك المحسن طيلة بقاء الدنيا، وله في الآخرة الجزاء الاوفر، كما قال تعالى في سورة (الليل): (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) واما الذين يضمنون بالمال الفائض عن لوازمهم الضرورية فقد قال تعالى في حقهم: (واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى) .



نظريّة نابليون

وجاء في كتاب (لماذا تأخر المسلمون) للأمير شكيب أرسلان بصحيفة (٨٢): وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سنهلاتة: (ان العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لا غير) ١٠ هـ.

فهذه شهادة من امبراطور فرنسا، بل امبراطور نصف اوروبا، والقائد العظيم الذي لم تعرف أوروبا قائداً قبله كان أعظم منه، مع ان الجيوش التي فتح بها العرب الدنيا في نصف قرن لم تبلغ عشر معشار تلك الجيوش التي قادها نابليون بونابرت في تدويخ أوروبا. وكذلك لأن أسباب النصر لم تكن منحصرة في كثرة الجيش أو قلته، بل ان السبب الوحيد الذي جعل العرب تفتح الدنيا في نصف قرن هو ان الجيوش الاسلامية التي كانت في جانب القلة بالنسبة للأعداء، انما كانت تتفوق على خصومها لكونها كانت تقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولم يكن ذلك الفتح المبين هو بأسنة الرماح، او بجد الصارم البتار، بل بنشر العدل والحرية والمساواة بين طبقات البشر، ثم بنشر العلم والأمن والسكينة، ومنع الغطوسة والتعدي من القوي على الضعيف، في كل بلدة او اقليم دخله الجيش الاسلامي، فلذلك كانت الامم تستقبله بصدر منشرح وقلب مطمئن. واما نابليون فكان يقاتل لاجل السيطرة على العالم والتغلب على الممالك. ولذلك نجح العرب، ولم ينجح نابليون لأن العبرة بالمقاصد.

نظرية غليوم الثاني

نقلت جريدة الفتح الغراء في عددها (٤٣٥) عن جريدة المقطم أن مسيو موريس باليولوغ سفير فرنسا الاسبق في روسيا وعضو الاكاديمية الفرنسية الآن نشر وثيقة تاريخية في كتاب له عنوانه (غليوم الثاني، ونقولا الثاني) وهي تتضمن كتابا بعث به غليوم الثاني امبراطور المانيا بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٨م الى قريبه نقولا الثاني قيصر الروس يصف له فيه شعوره نحو النصرانية والاسلام عند زيارته بيت المقدس في ذلك الشهر من تلك السنة وهذا نص الوثيقة التاريخية :

«ان القدس هي التي استوقفت نظري طبعاً بوجه خاص لما فيها من أماكن كثيرة مقرونة بذكرى مخلصنا (اي السيد المسيح) وبمجرد الفكر ان نظره وقع على هذه الأكام، وأن قدمه وطئت هذه الأرض، يحرك أوتار القلب ويعثه على الخفقان بقوة أعظم، ولكنني مضطر الى الاعتراف باخلاص بأن جميع الأشياء التي رأيتها هنا ولها صلة بالايان المسيحي لا تساعد مطلقاً على توليد ذلك الشعور. فقد تعددت هنا طوائف ديننا المسيحي وتعددت الكنائس والأديرة التي بنتها. فنشأت عن ذلك منافسة معيبة، بل نشأ عن ذلك نضال الغرض منه التزاحم على بناء أعلى النواقيس وأجمل الكنائس، فجاءت غير ملائمة للجهات التي بنيت عليها، حتى انه يخيل للمرء أنه في معرض من الكنائس. ولقد أثر ذلك التنافس في كهنة الكنائس المختلفة، ويجد القسوس

لذة في الدس وفي تنظيم المؤامرات السياسية، وهم يثيرون الاحقاد بدلا من أن ييثوا الحب ويسببون مشاجرات ومنازعات في الكنائس تحل محل التراتيل الدينية، والوثام الذي يجب أن يسود الجميع . والأمر من ذلك أنهم ابتكروا عبادة الاحجار والأشجار مع ان ذلك محظور في الوصية الثانية من الوصايا العشر، حتى يمكن القول ان هذا الضرب من العبادة حل محل العبادة الالهية . وقد قال لي رجل فرنسوي: اننا في هذه الاماكن التي يقال عنها مقدسة نعبد الحجارة مع أنه من المتعذر اقامة الدليل على قدسيتها، أما العبادة الالهية فلا مكان لها هنا . وهذه الاقوال تطابق الحقيقة كل المطابقة ولو أنها مؤلمة جداً لعواطفنا المسيحية، ولما غادرت الاماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين وكنت أقول لنفسي في قرارة نفسي: (لو لم يكن لي دين عند وصولي من القدس لكنت قد اعتنقت حتما الدين الاسلامي) ١٥هـ .

هذا ما قاله امبراطور المانيا السابق غليوم الثاني عن الاسلام والنصرانية في خطابه لقيصر الروس السابق نقولا الثاني الذي كان يسمى نفسه ناصر الدين المسيحي والامة المسيحية، وحامي الصليب، وكان ذلك الخطاب قبل سبع وثلاثين سنة حين زار غليوم القدس الشريف وهو على عرش المانيا، ويبيده مقدرات قسم عظيم من أوروبا وتهتز لذكره كثير من الأمم، فكان في خطابه هذا لقيصر الروس صراحة تامة عن حالة المذهب المسيحي من كونه أصبح عند القساوسة عبارة عن تنافس وتغالב فيما بينهم، وتعال ببناء الكنائس حتى خرج عن كونه دين عبادة وتقوى واصلاح وهدى وغير ذلك، حتى سماهم ذلك العاهل الكبير بعبدة الاحجار والأشجار، وصرح بتفضيل الدين الاسلامي على الدين المسيحي، مع انه رأى الدين الاسلامي في حالة تأخر المسلمين وتفككهم وانحلال رابطتهم الدينية والاجتماعية ودخول البدع والخرافات فيهم، ومحاربة الملاحدة والمبشرين لرجال الاصلاح منهم . فكيف لو رأى غليوم الاسلام في عصر الخلفاء الراشدين وفي عصر الخلفاء الأمويين، وصدر الخلافة العباسية، حينما كان سيد العالم أجمع، فماذا كان يقول؟ وما

تكون درجة موقفه؟ وكيف يكون اعجابه به؟ فما اظنه يتردد لحظة في اعتناقه
رغمًا عن كونه يدين بالمذهب المسيحي او بغيره، ورغما عن مركزه العظيم عند
رجال الدين المسيحي والأمة المسيحية.

نظر نابليون الى الاسلام من الوجهة الحربية فقال: ان العرب فتحوا الدنيا
في نصف قرن. ونظر غليوم الى الاسلام من الوجهة الدينية فقال: (لو لم
يكن لي دين لكنت قد اعتنقت حتمًا الدين الاسلامي). فهذه شهادة عاهلين
عظيمين من أعظم ملوك أوروبا للدين الاسلامي من الوجهة الدينية والحربية،
وهي كلمتان وجيزتان من ملكين عظيمين تشملان معاني كثيرة لو اردت أن
أشرحها وأبين معانيها لحبرت عدة صفحات، وكما قيل في المثل (كلام الملوك
ملوك الكلام) فتركت للقاريء أن يستنبط منها ما شاء من المعاني بحسب
ذوقه وسعة مداركه.



نظرية فولتير

وجاء في كتاب (لماذا تأخر المسلمون) بصحيفة (٩٠) عن (فولتير) أنه قال عندما ذكر لديه (لوثير) و(كلفين): (كلاهما لا يصلح ان يكون حذاءً لمحمد). يريد بقوله هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاصلاح ما لم يبلغا ادناه مع اعتقاد الكثيرين منهم ان مذهبها كان فجر أنوار أوروبا. يعني انها كانا من اعظم رجال الاصلاح في أوروبا، ومع ذلك لم يصلحا ان يكونا حذاء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في نظر (فولتير) مع انه من اقطاب ملاحظة الغرب.

نظرية موسهليم

وجاء في كتاب (غرائب الغرب) للأستاذ كرد علي بالجزء الثاني بصحيفة (١٣٩) عن (موسهليم) الجرمانى انه قال: (حق علينا ان نقول ان العرب ولا سيما عرب اسبانيا هم اصل ينبوع كل معرفة في الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التي بزغت في أوروبا منذ القرن العاشر فصاعداً).

نظرية الدكتور روزيه

وذكر في صحيفة (١٤٢) انه قال له الدكتور (روزيه) رئيس جامعة لوزان في سويسرا سابقاً: انني طفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فاعجبت بها كل الاعجاب، وما شاهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية فان أهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود، ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين ان تقيم أرقى مما أنشأه ابناء جنسكم في القرون الوسطى، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي ذك كثيراً من المعالم في أرض الأندلس على نفس هذه السدود على وادي الاحمر وغيرها، والا لهلك اهل ذاك الاقليم عطشاً، ومن الاسف ان مدينة هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها، فقبح من قضا عليها، وأوصلكم الى ما أنتم عليه من الانحطاط.

فهذا العالم السويسري رئيس جامعة لوزان يأسف على ذهاب حضارة العرب ويقول بكل صراحة: ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين ان تقيم ارقى منها، ويقول أذنان الاحاد والتبشير: لو وجد محمد صلى الله عليه وسلم في هذا العصر الذي هو عصر العلم والمدينة ماذا كان يصنع؟ فاذا كان رئيس جامعة لوزان يعجب من صنع بعض المسلمين في القرون الوسطى، فما بالك لو ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان موجوداً في هذا العصر، اذاً لصنع بما أرشد به القرآن الذي اهمله المسلمون، ولاصبح المسلمون بارشاده سادة العالم أجمع كما كانوا في القرن الاول بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ولأراح اهل الارض من وقاحة أمثال هؤلاء الذين ملأوا الجو عواء دون جدوى، لان جهلهم، وخطرستهم قد علمها حتى بسطاء المسلمين، وأصبحوا منبوذين من الانسانية، وملعونين اينما ثقفوا.

نظرية مستر كنورثي

وجاء في كتاب (الحديقة) جزء (١١) صحيفة (٦٧) عن مستر (كنورثي) الكاتب البريطاني الشهير انه قال في مقالة نشرها في جريدة (هيرالد تريبيون) التي تطبع في نيويورك بامريكا تحت عنوان (ضغط العالم المسيحي ستة قرون على روح الحرية الاسلامية): عند ما حكم الخلفاء بغداد أداروا أمورهم بروح الحرية، فارتقت العلوم في أيامهم، وازدهرت الحكمة، حتى اخذ الغرب علومهم عنهم ودرسها في جامعاته، وقد بقيت هذه الروح بعد سقوط بغداد ستة عصور كاملة تئن من ضغط العالم المسيحي المستمر عليها.



نظرية هنري لاوس

وجاء فيها أيضاً تحت عنوان (الثقافة الاسلامية) بقلم المستشرق الفرنسي (الموسيو هنري لاوس) بصحيفة (١٧٠) انه قال: امكن لفريق من المستشرقين ان يقولوا بوجود ثقافة اسلامية عامة، ابتدأت في التاريخ بالدعوة الاسلامية الاولى على عهد النبوة، ثم تكونت في زمن الخلفاء الراشدين، والدولة الاموية ثم في عهد العباسيين ببغداد، وانتشرت في مختلف الاقطار الاسلامية من الشرق الى الغرب ثم ذكر الشعر الجاهلي ورد على من زيفه الى ان قال: من العناصر التي تتكون منها الثقافة الاسلامية هو العنصر الديني المحض، وفي مقدمته (القرآن، والحديث) وان ما نزل في مكة من السور والآيات كان تشريعاً دينياً محضاً، واما ما نزل في المدينة فيتناول التكوين السياسي والاجتماعي، ولا غنى للمستشرقين عن دراسة القرآن، واما الذين لا يفعلون ذلك ولا سيما الذين يظنون ان الاسلام زال نشاطه، فانهم يعنون بدراسة المسلمين أنفسهم اكثر مما يعنون بدراسة القرآن، والقرآن لا يزال يفسر بالسنة التي جاءت مبينة لمشكله ومفصلة لمجمله، وهي تتناول التشريع في العبادات وغيرها وجميع ما يتصل بالحياة اليومية، ولما انتشر الصحابة في البلاد بعد الفتوح اخذ الناس عنهم الحديث، وتناوله القصاص، ووضع بعضهم احاديث وقصصاً، فانبرى لهم من العلماء رجال ميزوا بين الصحيح والموضوع، وردّوا ما

دسه الموضوعون، وكانت نتيجة ذلك تدوين الكتب الستة المعتمدة، وأقول: ان التمسك بالسنة من أقوى ما يوجد في الاسلام، وان الامام أحمد بن حنبل وأتباع مذهبه من أشد المتمسكين بالسنة، وقال بعض المستشرقين وهو الاستاذ ايغناس غولدزهر: ان تاريخ التطور الفكري في الاسلام انما يتمثل في الصراع بين السنة والبدعة ثم قال: نشأت الثقافة الاسلامية في المدن وامتازت كل مدينة بطبائع واخلق، فهناك البصرة والكوفة، وهنالك المدينة المنورة وبغداد ومدن الاندلس وبلاد المغرب التي لا تزال الى الآن من أرقى المدن الاسلامية. ان وحدة الثقافة الاسلامية تقوم بوحدة العقائد الاسلامية وما كان الانقسام عند المسلمين الا في الفروع، واعظم افتراق هو بين أهل السنة والشيعة، وقد حدث في هذه الايام تقارب بين الفريقين. ومهما يكن من تأثير العنصر الديني في الثقافة الاسلامية فان الاسلام ليس فيه ما يمنع البحث العلمي، وقد قامت عند المسلمين مدارس مهمة للطب والعلوم، وجميع المؤرخين في الاسلام لهم نمط واحد في ايراد الحوادث والوقائع، لا كما نفعل نحن الآن بتحليل البيئات والمؤثرات والظروف ما خلا ولي الدين عبدالرحمن ابن خلدون فانه طبق قواعد النقد على التاريخ بكل معاني الكلمة، وحاول ان يعلل الحوادث التاريخية على ضوء نظرياته الاجتماعية، ومن مظاهر وحدة الثقافة الاسلامية من جهة الادب والشعر، فان جميع المسلمين في المشرق والمغرب يتحدثون في دراسة الشعر العربي، وهو من أوثق الروابط بين الاقطار الاسلامية، وعندني ان (اللغة العربية) من اهم دواعي وحدة الثقافة بين المسلمين، وأهم أسباب تفوق هذه اللغة انها اللغة الرسمية، ولغة الدين، ولا بد لاجل فهم القرآن والحديث النبوي من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة. وقال في تأثير ثقافة الاسلام على أوروبا: من مميزات المستشرقين في هذه الايام الحاحهم في البحث عما اقتبسته الأمم النصرانية في القرون الوسطى من ثقافة الاسلام، ولقد كان ملتقى الادبين في الاندلس، وصقلية، وبعض المدن الايطالية كالبندقية وجنوه، وفي الحروب الصليبية ايضاً حدث احتكاك في الافكار بين الشرق والغرب، وان لتأثير الاسلام في الامم النصرانية في

القرون الوسطى أشكالاً مختلفة، ويجب علينا الرجوع الى تاريخ العلوم لنقدر ما كان للمسلمين من التأثير على الحركة العلمية في مدارس الافرنج في القرون الوسطى، وان لغتنا الفرنسية لا تزال الى اليوم محافظة على كلمات اقتبستها من لغة العرب، وفي ذلك لحة دالة على ما وراءه من اقتباس وتأثير. ثم ذكر أسباب انحطاط المسلمين في الثقافة فقال: من القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الانحطاط في العالم الاسلامي، وللمسلمين اهتمام شديد في البحث عن أسباب هذا الانحطاط، فمنهم من يرى ان الانحطاط ناشىء عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم في العصر الاول ومن ذلك سد باب الاجتهاد، وبعض الاوروبيين يرى ان سبب تأخر المسلمين عدوهم عن البحث في فلسفة أرسطو، والذين يقدرون تقدم الآلات الميكانيكية في الغرب يرون ان سبب تأخر المسلمين تقصيرهم في الأخذ بأسباب الصناعة ومجاعة الأمم فيها، وفي الواقع ان المسلمين لم يقتبسوا الطباعة الا في أزمان متأخرة، ولو بكرروا في ذلك لكان له الأثر الطيب، وللثقافة الاسلامية الحاضرة عدة اتجاهات اهمها الحركة السلفية التي يراد منها الرجوع الى بساطة الاسلام الأولى وتحكيم الكتاب والسنة، وتبتديء الحركة بـ (ابن تيمية) وتلميذه (ابن القيم) وأظن ان في الشرق الأدنى طوائف من المسلمين تميل الى هذه الطريقة، ولاحظت انا بنفسى وجود اتجاه نحو ذلك في المغرب، وهناك تيار تفكيري آخر ينتسب الى السيد جمال الدين الافغاني، والشيخ محمد عبده، وهو أقرب تناولا من الأول، وقد شاهدت ميلا عظيما الى هذا التيار في مختلف بلاد الاسلام في الشرق والغرب ا هـ.

هذا ما قاله الموسيو (هنري لاوس) المستشرق الفرنسي من رقي الاسلام وحضارته وتقدمه على سائر الأمم الشرقية والغربية عدة قرون وهو الأستاذ لأوروبا في العلوم والمعارف والميكانيكا والفلسفة وكل شيء، وان سبب تأخر المسلمين لكونهم لم يسيروا على سير سلفهم الصالح، وهذا قد نهينا عليه اخواننا المسلمين في كثير من المواضع في كتابنا هذا واثبتنا لهم اثباتا عقلياً ونقلياً بانه

لا سبيل الى نجاحهم الا اذا رجعوا الى الوراء اكثر من ألف عام، رجعوا الى
ماضي مجدهم حينما كانوا قادة الأمم وساداتها في كل شيء، ولا يزال كما
قلنا غير مرة: ان باب الوصول الى النجاح مفتوح على مصراعيه وليس عليهم
الا ولوجه .



نظرية إدوار مونتيه

وجاء في الحديقة جزء (١١) صحيفة (٢٤٢) تحت عنوان (الاسلام ينتشر بنفسه) ان الاستاذ (ادوار مونتيه) مدير جامعة جنيف ألقى محاضرة قال فيها: ان الاسلام دين سريع الانتشار ينتشر من تلقاء نفسه دون اي تشجيع تقدمه له مراكز منظمة، وذلك لأن كل مسلم مبشر بطبيعته، المسلم شديد الايمان وشدة ايمانه تستولى على قلبه وعقله، وهذه ميزة في الاسلام ليست لدين سواه، ولهذا السبب ترى المسلم الملتهب ايمانا يبشر بدينه اينما ذهب واني حل، وينقل عدوى الايمان الشديد لكل من يتصل به من الوثنيين، ولعمري ان للايمان الاسلامي الشديد اكبر فضل في انتشاره هذا الانتشار السريع، وفضلا عن الايمان فالاسلام يتمشى مع الاحوال الاجتماعية، والاقتصادية، وله قدرة عجيبة على التكيف بحسب المحيط وعلى تكيف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوي، ولا شك في ان الاسلام يعد من اكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية، الاسلام حضارة قائمة بنفسها رغم انحطاط المسلمين في فترة من الزمن، الا انهم الآن ينتهون مرة ثانية وينشرون المدنية والرقى في كل انحاء العالم، ان تأثير الاسلام في السكان مفيد اكثر من تأثير المسيحية، فالمسيحية ضعفها ظاهر في افريقيا، بينما قوة الاسلام وعظم تأثيره في الحالة الاجتماعية، والدينية والخلقية والاقتصادية ظاهر جلي، وآخر ملاحظاتي هي ان للاسلام قوة اندماج وملاءمة للاوساط الافريقية، والاوساط الراقية، والمدنية العالية، وليست هذه المزية لاي دين او نظام اجتماعي غيره.

هذا ما قاله الاستاذ (ادوار مونتيه) عن قوة الاسلام وتأثيره في عموم العناصر، وان له قوة اندماج وملاءمة للاواسط الراقية والمدنية العالية، وهي شهادة من مدير جامعة جنيف للاسلام وهو على غير الدين الاسلامي فاذا قايسنا بينه وبين القائلين (ماذا عمل محمد؟ ولو وجد محمد في هذا العصر ماذا كان يعمل؟) نجد ان هؤلاء القائلين بهذا القول لا يصلون الى كعب الاستاذ (ادوار) ولا أوطأ من ذلك، حيث ان الجاهل اذا رام مباراة العالم فليس له موضع الا الاندحار، وانك لا تجد هؤلاء الاغبياء مبرراً لاقوالهم وانما قد اتوا بمبررات تدل على قوة وقاحتهم وعظيم جهلهم، واثبتوا للملأ أجمع انهم احط من الحيوانات العجم ادراكا وفهماً وتصوراً.



نظرية الفيلسوف توماس كارليل

هنا أنقل للقارئ ما قاله الفيلسوف توماس كارليل في كتابه (الأبطال) تعريف محمد السباعي في المحاضرة الثانية تحت عنوان (البطل في صورة رسول) قال كارليل: لقد أصبح من اكبر العار على اي فرد متمدن من أبناء هذا العصر ان يصنع الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب، وان محمداً خداع مزور، وأن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة، فان الرسالة التي أذاها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتنة الحصر والاحصار اكذوبة وخدعة؟ اما انا فلا استطيع ان أرى هذا الرأي ابداً، ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فاما الناس الآلهة ومجانين، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة، كان الاولى بها ألا تخلق، فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالراء والمرحمة. وبعد فعلى من أراد ان يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء، فانها نتائج جيل كفر، وعصر جحود والحاد، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الارواح في حياة الابدان، ولعل العالم لم يرق رأياً اكفر من هذا وألام، وهل رأيت قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً وينشره؟ عجباً والله، ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبنى بيتاً من

الطوب . فهو اذا لم يكن عليا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه بيت . وانما هو تل من الانقاض وكثيب من أخلاط المواد . نعم وليس جديراً ان يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الانفس . ولكنه جدير ان تنهار أركانه فيندم فكأنه لم يكن— ثم تكلم عن ولادته صلى الله عليه وسلم وعن كفالة جده عبدالمطلب ثم عمه ابي طالب وسفره الى الشام ودحض فرية من قال انه تعلم على (بحيرا الراهب) واثبت انه أُمي . وذكر شيئاً عن أحوال العرب وأخلاقهم وذهنيته الي ان قال : ثم لا ننسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً . وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك في بلاد العرب ويظهر لي ان الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة . وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما يوفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . وعجيب وأيم الله أُمية محمد نعم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب . ولم يضربه ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لانه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ثم قال : يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير أفكار غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه—الى ان قال— أقول : وما زالت هذه الخطة المثلى والمذهب الاشرف الاطهر، وما زال الرجل مصيباً وظافراً وحرّاً وكرماً وسائراً على المنهج الاقوام وسالكا سبيل السعادة مادام معتصماً بمجبل الله متمسكاً بقانون الطبيعة الاكبر الأمكن غير مبال بالقوانين السطحية والظواهر الوقتية وحسابات الربح والخسارة نعم هو ظافر . ثم قال : فن فضائل الاسلام تضحية النفس في سبيل الله . وهذا أشرف ما نزل من السماء على نبي الارض . نعم هو الله قد سطع في روح ذلك الرجل فأناز ظلمتها، هوضياء باهر كشف تلك الظلمات التي كانت تؤذن بالخسران والهلاك . وقد سماه محمداً . وحياء

جبريل . وأينا يستطيع أن يحدث له اسماً؟ ألم يجيء في الانجيل ان وحي الله يهبنا الفهم والادراك؟ ولا شك أن العلم والنفاذ الى صميم الامور وجواهر الاشياء لسر من أغمض الاسرار، لا يكاد المنطقيون يلمسون منه الا قشوره . وقد قال نوفاليس (أليس الايمان هو المعجزة الحققة الدالة على الله؟) فشعور محمد اذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على الناس علمه لم يكن الا أمراً بديهياً، وكون الله قد أنعم عليه بكشفها له ونجاه من الهلاك والظلمة، وكونه قد أصبح مضطراً الى اظهارها للعالم أجمع هذا كله هو معنى كلمة (محمد رسول الله) وهذا هو الصديق الجلي والحق المبين. ثم ذكر ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش من المحاورات وتعتدهم لعدم قبول دعوته وعرض نفسه على القبائل وهجرته الى المدينة. ثم قال: ومن هذه الهجرة يتبدى التاريخ في المشرق وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد فترون انه كان قد أصبح اذ ذاك شيخاً كبيراً . وكان أصحابه يموتون واحداً بعد واحد ويخلون امامه مسلكا وعراً وسبيلاً قفراً وخطة نكراء موحشة فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعاً ومحرراً ويفجر بعزمه ينبوع أمل بين جنبيه، فهيات ان يجد بارقات الامل فيما يمدق به من عوايس الخطوب ويحيط به من كالحات المحن والملمات . وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الاحوال . وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط، فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة — اي يقتلوه — عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفاع عربي، ولسان حاله يقول: «وأما وقد أبت قریش الا الحرب فلينظروا أي فتیان هيجاء نحن» ثم قال: ولقد قيل كثيراً في شأن نشر محمد دينه بالسيف، فاذا جعل الناس ذلك دليلاً على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا، فهم يقولون: ما كان الدين لينشر لولا السيف، ولكن ما هو الذي اوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وأنه حق، والرأي الجديد اول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد، فالذي يعتقده هو فرد،

فرد ضد العالم أجمع، فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع، وأرى على العموم ان الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسب تقاضيه الحال، أو لم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحياناً؟ وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار، لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها، فانها لن تهزم إلا ما كان يستحق ان يهزم، وليس في طاقتها قط أن تفني ما هو خير منها بل ما هو أخط وأدنى، وهنا أخذ يبرهن بالأدلة الفلسفية والمنطقية والعقلية على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويرد على المبشرين والمتغطرسين فرياتهم على الاسلام ونبي الاسلام الى ان قال: نحن سمينا الاسلام ضرباً من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب، وشدة امتزاجه بالنفوس، واختلاطه بالدماء في العروق لأيقنا انه كان خيراً من تلك النصرانية التي كانت اذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتاً. ثم قال: نظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم، نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق، وعينه المتوقدة الجليلة الى لباب الأمر وصميمه، وقال: انما الحق «أن لا اله الا الله وحده لا شريك له خلقنا وبه حياتكم وموتكم وهو أرأف بكم منكم، وما أصابكم من شيء فهو خير لكم لو كنتم تفقهون» ان ديناً آمناً به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقاً، وجدير أن يصدق به، وان ما أودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للانسان أن يؤمن به، وهذا الشيء هو روح جميع الاديان. ثم قال: لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها لانه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة. وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن بحق، فانها حطب ميت اكلته نار الاسلام.

فذهب والنار لم تذهب . أما القرآن فان فرط اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو اكبر دليل على اختلاف الاذواق في الامم المختلفة . هذا وان الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة . ولذلك لا عجب اذا قلت ان الاوروبي يجد في قراءة القرآن اكبر عناء فهو يقرأه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع في صفحاتها قفاراً من القول الممل المتعب ويحمل على ذهنه هضاباً وجبالاً من الكلم لكن يعثر خلال ذلك على كلمة مفيدة . أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاءمة ولان لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه . فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أنقى النصارى لانجيلهم . وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها ، والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجاً منيراً يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيماً ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة ، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالي وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الألوف من خلق الله وفي قلوبهم اثنى عشر قرناً في كل آن ولحظة . ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة . اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير ان يصل الى أفئدة سامعيه وقارئييه وقد زعم (براديه) وأمثاله انه- أي القرآن- طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون أعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف وذرائع لبلوغ مطامعه وغاياته . ولكنه قد آن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال فاني لأمقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الاكاذيب . وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل . والقرآن لو تبصرون ما هو الا جهرات ذاكيات قدفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات . ثم تكلم عن الزكاة فقال : وفي الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها ، وهي التسوية بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي ، فنفس

المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الاسلام سواء، والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزءاً من أربعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمنكوبين . جميل والله كل هذا وما هو الا صوت الانسانية، صوت الرحمة والاخاء والمساواة، ثم تكلم عن محاسن الصوم وفوائده، وعن الجنة والنار والآخرة وحلل ذلك بتحليل فلسفية الى ان قال: ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور، وأحى به من العرب أمة هامة، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً، وسع نوره الأنحاء وعم ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالغرب، وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الاسلام حقاً عديدة ودهوراً مديدة، بنور الفضل والتبيل والمروءة والبأس والنجدة وروث الحق والهدى على نصف المعمورة، وكذلك الايمان العظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة، وما زال للأمة رقي في درج الفضل وتعريج الى ذرى المجد، مادام مذهبها اليقين ومنهجها الايمان، ألسم ترون في حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من الساء شرارة على تلك الرمال التي كان لا يبصر بها فضل، ولا يرجى فيها خير فاذا هي بارود سريع الانفجار، وما هي برمل ميت، واذا هي قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودلهي؟ ولطالما قلت إن الرجل العظيم كالشهاب من الساء، وسائر الناس في انتظاره كالخطب، فما هو الا ان يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا .

هذا بعض ما قاله الفيلسوف (توماس كارليل) الانكليزي في كتابه (الأبطال) في محاضراته الثانية التي ألقاها على جمع عظيم من أبناء بريطانيا ورجالها، عن نبي الاسلام ودين الاسلام وكتاب الاسلام، فهل وقف جرثومة الاحاد ذلك الضال المضل الذي قد سمم بعض تلامذة مدارس مصر بتشكيكه

والحاده، وقوله في (القرآن المجيد): انه كتاب ككل الكتب، وقوله لتلاميذه الذين رماهم القدر بين يديه: ضعوا القرآن أمامكم موضع الكتب العادية وانتقدوه بشجاعة؟ فاذا صكه العمى ولم يبصر بلاغة القرآن واعجازه، ألم يسمع قول الأستاذ كارليل في القرآن وهو رجل انكليزي بعيد عن لغة العرب وبلاغتهم؟ فاذا كان دأبه تقليد بعض ملاحدة الغرب فلماذا لم يقلد كارليل؟ نعم انه لم يقلد رجال الاصلاح حيث لم يذق للاصلاح طعما، وانما يقلد أهل الزيف والاحاد والضلال والتشكيك، لأن ذوقه ألف القذارة والمنبوز من الرأي والقول. (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها).



نظرية الدكتور أنسباتو

وجاء في الحديقة في الجزء الخامس صحيفة (١٦٢) قول الدكتور (انسباتو) الايطالي في كتابه (الاسلام وسياسة الخلفاء): ان الكرم العلمي والصدقة الفكرية، صفتان من صفات الاسلام شأنها أن تجعل الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا .

نظرية هنري شامبون

وجاء في الحديقة في الجزء السابع صحيفة (٢٤٦) تحت عنوان (الانتصار الممجي على العرب) قول هنري شامبون مدير (يغويار لمنثير) الفرنسية: لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الممجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي، ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون، ونحن مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، مع أننا نزعج اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة في الفضائل، وحسبها انها كانت مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الممجية، وانه لكذب وافتراء مانذعيه من أن الزمان قد اختلف، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى .

نظرية المسترولز

وجاء في الحديقة في الجزء السابع أيضاً صحيفة (٢٦٢) تحت عنوان (الاسلام هو المدنية) قول المستر (ولز) وهو اكبر كتاب الانجليز على الاطلاق وله مؤلفات عدة، وقد كتب مؤخراً مقالا عن الاسلام وأبدى رأيه في الدين الخفيف ونقلت مقاله الصحف الانجليزية التبشيرية وانتقدته قال المستر ولز: كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به، لان الدين الذي لا يسير مع المدنية جنبا الى جنب لهو شر مستطير على أصحابه يجرحهم الى الهلاك، وان الديانة الحقبة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي (الديانة الاسلامية) واذا أراد الانسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ (القرآن) وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع، فهو كتاب ديني علمي اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي، وكثير من أنظمتة وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة. واذا طلب مني أحد القراء أن أحدد له الاسلام فانني أحدده بالعبرة التالية: وهل في استطاعة انسان أن يأتيني بدور من الادوار كان فيه الدين الاسلامي مغايراً للمدنية والتقدم؟ كان النبي محمد زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً، وأقرأ ما جاء في أحاديثه تتحقق صدق ما أقول، ويكفي أن قوله المأثور «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، واذا أكلنا لا نشبع» هو الاساس الذي بنى عليه علم الصحة، ولم يستطع الاطباء على كثرتهم ومهارتهم ان يأتوا حتى

اليوم بنصيحة أئمن من هذه، والخلاصة أن محمداً كان مجموعة من الحسن والنبوغ والبحث، وهذا هو التحديد الصحيح الذي يجب على كل مسلم ان يعرفه ثم قال: ان محمداً هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تقل عن ربع قرن ان يكتسح دولتين من أعظم دول العالم، وان يقلب التاريخ رأساً على عقب وان يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والاخذ بالثأر، واتباع آباءها، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الامة العربية على أمرها، فن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع محمد أن يقهر خصومه بها هي من عند الله؟ اهـ.



ما جاء في دائرة المعارف البريطانية

وجاء في رسالة (حقيقة الدين الاسلامي) نقلا عن دائرة المعارف البريطانية المؤلف (١١) موضوع القرآن (ان محمداً وفق في دعوته اكثر من اي نبي آخر) ونقل ايضاً عن كتاب (حياة محمد) ان (السير ويليم ميور) الناقد الذي لم يناصر الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم أبداً، قد اعترف بمعجزة الانقلاب العظيم الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: عندما كان النبي شابا كانت احوال وأطوار جزيرة العرب عقيمة رجعية ولربما لم يكن الاصلاح في أية فترة أخرى بأصعب مما كان في ذلك العهد فظهر النبي صلى الله عليه وسلم واستعد قومه لدين جديد وروحانية جديدة، وتطايير شرار الانقلاب من كل حذب وصوب في الجزيرة العربية واستعد القوم لذلك الانقلاب الحديث، واذا استعرضنا تاريخ جزيرة العرب قبل الاسلام نجد ان الديانة المسيحية لم تحدث خلال خمسة قرون شيئاً يذكر سوى تنصر قليل من الناس في مختلف الاماكن، واذا تعمقنا كثيراً في تاريخ الاديان نرى ان الديانتين اليهودية والنصرانية لم تؤثرا على روح العرب وانما الاعتقادات الاسماعيلية (يعني ملة ابراهيم ص) هي التي كانت مستولية على أذهانهم، وحالة جزيرة العرب قبل الاسلام لم تكن صالحة لقبول أي انقلاب ديني أو اجتماعي أو سياسي لأن عبادة الاصنام كانت راسخة في قلوب العرب وانهم منذ قرون لم يعهدوا أحداً استطاع ان يغير عقيدتهم رغم مساعي نصارى مصر وسوريا.

الى هنا نقتصر على ما تقدم حيث لو أردنا أن نستوعب كل مقالته علماء الغرب المنصفون في فضائل ومحاسن نبي الاسلام، ودين الاسلام ومدنية الاسلام، وحضارة الاسلام، والتشريع الاسلامي القضائي والمدني، لصاق بنا المقام واحتاج الامر الى عدة أجزاء، حيث ان هذا الامر شائع عند كثير من علماء الغرب الذين تتبعوا الحوادث الاسلامية السياسية والاجتماعية والادارية وغير ذلك . ولنختم بحثنا هذا بما جاء في الحديقة بالجزء السابع صحيفة (٢٠٠) تحت عنوان (نصف قرن على الاسلام في انجلترا) وهي محاضرة القاها الشيخ عبدالله كوليام الانجليزي في نادي جمعية الشبان المسلمين .



محاضرة الأستاذ عبد الله كوليم

قال الشيخ عبدالله كوليم: منذ ستين عاماً أشار علي الأطباء براحة أمضيتها في جبل طارق، فلما سرت الى هناك ركبت سفينة الى طنجة لمشاهدة بعض البلاد المراكشية، واتفق انني لما صعدت السفينة رأيت فيها بعض الحجاج من أهل المغرب يغترفون الماء بالدلو من البحر ويتطهرون مبالغين في النظافة، ثم اقلعت السفينة وما كادت تغادر الميناء حتى رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة صفوفاً جميلة وجعلوا يصلون معاً بخشوع وطمأنينة غير مكترئين بتمايل السفينة واضطراب الريح، ولقد أثر في نفسي ما قرأته على وجوههم من صدق الايمان فاثارت حالتهم هذه الاهتمام الزائد عندي في أن أستزيد من المعلومات عن الدين الذي يدينون به وما عتمت أن تعرفت بلمّ يتكلم الانجليزية فكان يلزماني دائماً مدة اقامتي في طنجة لا سيما بعد ما شعر مني بالرغبة في تعرفه المبادئ التي يدعو الاسلام اليها والروابط التي تربط المسلمين بعضهم ببعض . وفي ذات مساء جلست معه في مقهى من مقاهي طنجة وكان ثمة رجل اسرائيلي اسمه موسى يعرفه صاحبي المسلم فقال لي صاحبي: أريد أن أضرب لك مثلاً يوضح حقيقة الديانات الثلاث السماوية السائدة في الأرض وهي الديانات التي تمثلها أنا وأنت وهذا الاسرائيلي، ان الأنبياء سفراء الله الى الناس يحملون اليهم قواعد الاصلاح ويدلونهم على

طريق السعادة، لهذا جاء آدم ونوح وإبراهيم، وكل الانبياء بعد إبراهيم، وقبل أن يفترق الناس الى يهود ونصارى ومسلمين كانوا جميعاً على ملة واحدة، فجاء المسيح عليه السلام بهداية جديدة أدرك صدقها ونفعها الذين اتبعوا المسيح فانفصلوا عن اليهود، وكانوا على حق في انفصالهم هذا لأن المسيحية جاءت مصدقة لما تقدمها ومرشدة الى الطريق الأقوم، ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم مصدقاً لجميع الانبياء قبله ومرشداً الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية والارشاد، فانفصل المسلمون أيضاً وكانوا على حق في انفصالهم هذا كما كان المسيحيون على حق يوم انفصلوا عن اليهود، فكما ان المسيحية أفضل من اليهودية لأنها وحي أقرب عهداً من الوحي الاول كذلك الاسلام أفضل من المسيحية واليهودية معاً لانه أحدث الوحي وآخر الديانات وأبقاها . كنت أسمع حديث صديقي وأطيل التفكير فيه ولا أشعر في نفسي بمعارضة له لأنه كان معقولاً ومنطقياً، فعولت من ذلك الحين على أن أقرأ الاسلام في كتبه وأن أقرأ ما كتبه عنه العلماء المنصفون فقرأت ترجمة رسل القرآن الشريف وقرأت كتاب الأبطال لكارليل وقرأت غيرهما، وما خرجت من طنجة الا وأنا مستسلم للاسلام مدعن لقوته، مقر بأنه حق، وأنه خير الاديان .

ولما رجعت الى انجلترا كان شغلي الشاغل التفكير في الأسلوب الذي يجب أن أتبعه لادعو الناس الى الاسلام واقنعهم به وأحلهم على الايمان به، وكنت أعلم أن ما شحنه أعداء هذه الهداية من رؤوس الأوربيين عن الاسلام سيحول بيني وبين التفاهم مع الجمهور بطريق المحاضرات أو النشر، لأن جمهور الانجليز اذا حدثهم عن الاسلام يظنون انك تحدثهم عن دين وثني، والنشر نفسه تحول بيننا وبينه عقبات، لأن الصحف لا تفتح صدرها لمثل هذه الدعوة، والناس هناك بالاجمال غير مستعدين للاصغاء الى هذه الدعوة ثم بدا لي أن أطرق باباً غير مباشر وهو أن ألتحق بجمعية (النهي عن المسكرات) التي كانت تلقى محاضرات دورية، وبالفعل ألقيت في هذه الجمعية محاضرة

موضوعها (المتعصبون، والتعصب) استهللتها بذكر بعض الشخصيات البارزة في عالم الاختراع والاصلاح الاجتماعي مثل (ستيفنسون) مكتشف القوة البخارية و(ويلبرفورس) المجاهد في سبيل تحرير الرقيق، وأتيت على مجمل ما لاقاه كل هؤلاء من المقاومة والاضطهاد والسخرية بما صرفوا له مواهبهم، قلت: وبالرغم من ذلك نرى آثار هؤلاء العطاء واصلاحاتهم في انتشار ونماء، وقد استفادت منها الانسانية فوائد عظيمة فاعترفت لهم الأمم كلها بالفضل والعظمة ثم أردفت بذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقلت: ان هذا المصلح الكبير جاء البشر بالرسالة ودعا الناس الى الخير، ومع ذلك فقد ناله من الاذى والاضطهاد ما يجده كل مصلح عظيم يعمل على خير الانسانية، فلما تبين البشر فضله بعد قليل دخلوا في دينه أفواجا، وما زالوا كذلك حتى بلغوا الآن مئات الملايين في جميع أطراف المعمورة، ثم ذكرت شيئا من آداب الاسلام والمبادئ والتعاليم التي دعا اليها النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الموضوع طريفاً جداً في نظر الصحفيين الذين كانوا موجودين يسمعون هذه المحاضرة واستأذوني في أن يأخذوا خلاصتها في صحفهم، فقلت: لا بل أشرت أن تؤخذ كاملة، فان لم تنشر كاملة فلا آذن بأخذ شيء منها، فوافقوا وأخذوا نصها. لكن القسس لما علموا بالأمر أسرعوا الى مديري الصحف وقالوا لهم: ان المحاضرة فيها دسائس، وانها تتضمن الدعوة الى دين وثني وفيها تحريض المسيحيين على أن يصبأوا عن دينهم، فوافق مديرو الصحف على حذف ما في المحاضرة خاصا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونشروا الباقي، أما أنا فاعتماداً على ما اتفقت عليه مع مندوبي الصحف أنذرت القوم بأني سأحاكمهم أمام القضاء على تشويه محاضرتي وطالبتهم بأن يعملوا بما كان الاتفاق عليه فينشروا المحاضرة كاملة والا فالقضاء بيني وبينهم، فأذعنوا لما طلبته بعد أن أعادوا النظر في المحاضرة ورأوا أن ما قاله القسس مبالغ فيه، فنشروها كاملة، وكان لذلك تأثير عظيم لكثرة الأيدي التي تناولت تلك الصحف ولما بلغت هذا النجاح فكرت في أن يكون لنا في بلدى (ليفربول) مكان نقيم فيه الشعائر الاسلامية ونلقي فيه المحاضرات، وبالفعل اخترنا مكانا جعلنا نصفه

للعبادۃ ونصفه للدرس والوعظ والقاء الخطب، وما كدنا نفتح أبواب هذا البيت الاسلامي حتى صار القسس يدسون لنا الأشرار والمتحسين من صغار العقول، وأفادنا هؤلاء القسس بما كانوا يكذبون علينا ويصموننا به من الأمور الباطلة، فإذا جاءنا المخدوعون بأكاذيبهم ولم يجدوا شيئاً مما حشيت به رؤوسهم يكون لذلك رد فعل حسن جداً، ومما أودينا به أن أولئك الأشرار كانوا يلقون الاقذار على المصلين أثناء الصلاة أو وقت خروجهم من بيت الله، وكانوا يرمجون المؤذن بالحجارة وينثرون الزجاج المكسور على سجادات الصلاة ليجرحوا جباهنا وأيدينا وأرجلنا. وفي ذات مساء انتهبوا فرصة وجودنا في مسجدنا فجاؤوا الى درجات السلم ووضعوا أمامها أسلاكاً لتعثر بها عند خروجنا في الليل، ومن محاسن الصدق أن احد الاخوان أهدى اليّ يومئذ عصا وان لم يكن من عادتي أن أحمل العصا، فحملتها. وبينما أنا خارج من مسجدنا أمام اخواني أحرك العصا بيدي صدمت عصاى السلك فانتبهت له وللأسلاك الأخرى ووقانا الله شرها وشر أصحابها. ودخلت المسجد مرة أنا واخواني لالقي عليهم محاضرة في تفسير آية من القرآن الشريف فرأيت قد سبقنا الى المسجد جماعة قرأت في وجوههم أنها وجوه غريبة فلم أبال بهم وتلوت آية القرآن الشريف وشرعت أفسرها وأستنتج منها العظات والعبر، فلما انتهيت من المحاضرة قام أحد أولئك المرييين وأخرج من جيبه حجارة وألقاها في الارض ثم توجه الى أصحابه وقال لهم: من كان منكم يريد أن يرجم المسلمين بالحجارة التي معه فانا صرت الآن مسلماً فارجموني بها. فألقوها هم ايضاً في الارض واعلنوا اسلامهم. وهذا الرجل الذي كان رئيساً لهم ما لبث ان اصبح عضدي الايمن، وقد اختار لنفسه اسم (جمال الدين علي) ولازماني في كل رحلاتي التي قمت بها للدعوة الى الاسلام، حتى اننا ذهبنا مرة الى بلدة (بير كنهيد) وكان مقرراً ان القى في جمعية منع المسكرات محاضرة، فأتيت في هذه المحاضرة بشيء عن الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم، فاهتمت سكرتيرة الجمعية بمحاضرتي وطلبت مني أن أشفي غليلها باعطائها معلومات أخرى عن الاسلام، ثم قالت: ولكن أليس نبي المسلمين هو القائل

ان النساء ليست هن ارواح فلا يدخلن الجنة؟ فاجبتها بأن هذا من اختلافات أعداء الاسلام، واعطيتها المعلومات الصحيحة عن الدين الاسلامي ومبادئه وقواعده، فأسلمت هذه السيدة وسميت (فاطمة) وأسلم على يدها شقيقتها وزوجها. وفي احدى المرات كنت ألقى محاضرة في (ليفربول) وعند الانتهاء تقدم الى رجل وطلب ان يرافقني في طريقي الى البيت ليحادثني اثناء الطريق، وصرنا نتحدث عن الاسلام، وكانت أسألته لي وأجوبتي عليها داعية لسرونا، فلما بلغت باب المنزل دعوته لشرب الشاي عندي، وبقينا الى نصف الليل في حديث الاسلام وشرف منزلته ومبادئه العلمية الصالحة لكل زمان ومكان، واخيراً قال لي: واذا كان ما نقوله عن الاسلام حقاً فما يمنعك من ان تكون مسلماً؟ فأجبته: اني افتخر بأنني مسلم. فأسلم هو ايضاً وتسمى (جمال الدين بخاري) والآن فان البعض يعتقدون بأن اللورد (هدلي) هو اول لورد انجليزي دخل في الاسلام، وليس هذا صحيحاً، فقد دخل في الاسلام قبله اللورد (ستنلي اولدرلي) الذي كان يحب ان يدعى بين اخوانه المسلمين باسم (عبدالرحمن افندي) وكان يأتي مسجدنا فيصلي مع اخواننا رغم ما بينهم وبينه من التفاوت العظيم في المنزلة الاجتماعية. وبلغ عدد الذين اسلموا من الانجليز بضع مئات.

ثم قال: وعلى ذكر المسجد والمصلين أقول: اننا كنا متبعين السنة الاسلامية في ان يصلي النساء صفّاً وراء الرجال، اما مسجد (وكنج) فترتيبهم في الصلاة ان يصلي الرجل بين المرأتين، والمرأة بين الرجلين، لأن أعداء الاسلام يضعون في أذن المرأة أن الاسلام يريد اهانتها بجعلها تتخلف في الصلاة وراء الرجل، والحقيقة التي لا يمكن انكارها هي ان السنة الاسلامية في الترتيب هي التي تضمن خلوبال المصلين، وأنا لا ريب عندي قط في هذه الحقيقة، الاسلام يحترم المرأة ويكرمها ويحفظ لها الحقوق المعقولة، وفيما عدا ذلك فكل ما جاء فيه خاصا بها فعقول وطبيعي لانه من مقتضيات الفروق الطبيعية بين الجنسين هـ.

هذا ما قاله أعلام الغرب من ملوك، ووزراء، وأمراء، وقواد، وفلاسفة، ورؤساء مجامع علمية، وأساتذة في أعظم الكليات، ومن أعظم المؤرخين، وأرباب الصحف الكبار السيارة، وكبار المستشرقين، من أوروبا ووين، وأمريكان، وكل هؤلاء الاعلام على مذاهبهم المسيحية أو المادية، أو الطبيعية، ولم يكن من بينهم من اعتنق الدين الاسلامي غير الشيخ عبدالله كوليام الانجليزي فقط، مع أن هناك غير من نقلت آراءهم من أعلام الغربيين المنصفين في هذه العجالة ما يربو على الآلاف، وقد اقتصرت على آراء من تقدم ذكرهم خشية الاطالة . ولم آت هنا بما أتيت لأجل ان أثبت لاخواني المسلمين محاسن دينهم الحنيف، بما ذكره اعلام الغرب! كلا، ثم ألف كلا، لان المسلم صحيح الايمان على قناعة تامة من كون دين الاسلام هو الدين الحقيقي الوحيد الصالح لكل زمان ومكان وعصر ومصر، لانه هو دين التوحيد، والتشريع العادل، ودين الحضارة والمدنية الراقية، والعمران البديع، ودين الفطرة والفضيلة، ومكارم الاخلاق، وانما ذكرت ما تقدم عن اعلام الغرب ل يظهر للملأ اجمع ان حشرات الالحاد، واذناب التبشير، والتشكيك، اولئك الذين تسموا بأساء المسلمين، والذين قد نبذتهم الفضيلة، والانسانية، والمتبحجين بقولهم: ماذا عمل محمد؟ ولو وجد محمد في هذا العصر ماذا كان يعمل؟ انهم ليسوا في العير ولا في النفير، ولم يكونوا من ذوى الرأي والعقل والتفكير ولا يملكون من الادراك ما تملكه (الفلة) ولم يفهموا انهم لا قيمة لهم عند المسلمين وانهم احط قدرأ من القردة والخنازير كما انهم لم يفهموا لماذا الحد ملاحدة الغرب الذين لم يلحدوا في مذهب المسيح عليه السلام وانما كان الحادهم منحصراً فيما جاءتهم به القساوسة من الفطرسة والسفسطة والسيطرة على حرية الانسان باسم الدين وجعلوا أنفسهم وسطاء بين الخلق والخالق جل وعلا وان بيدهم غفران الذنوب، والمغفرة والرحمة، وغير ذلك من المختلقات والمفتريات على الرب سبحانه وتعالى وعلى عيسى المسيح عليه السلام، تلك المختلقات التي لا تنطبق على العقل الصحيح والفكر الثاقب . فرما يكون

الحاد الغربيين في ذلك له وجه معقول . واما هؤلاء الاغبياء الجهلاء بجهلهم المركب فقد قصرت مداركهم عن فهم ما جاء به الاسلام من الهدى ودين الحق والاصلاح العميم لكافة البشر . فاذا كان قد قصر بهؤلاء الفهم عن ادراك ما كتبه علماء الاسلام عن نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم ، ألم يطلعوا على ما كتبه فلاسفة الغرب المنصفون اولئك الذين قد نقلت عنهم بعض ما تقدم في نبي الاسلام ومدنية الاسلام ، وان العرب هم اساتذة الغرب في المدنية والحضارة وال عمران حتى في الميكانيكا وعلم الفلك والطب وغير ذلك ؟ ان هؤلاء لم يستطيعوا ولن يستطيعوا ان يقفوا على ما يكتبه امثال من تقدم ذكرهم ، لانهم أجزاء للمبشرين الغربيين . ولم يخجلوا بعد ان رشقتهم اقلام الكتاب بالنقد الشديد الذي هو كرجم الشياطين . وكشفوا للملأ اجمع عن حقائقهم وما هم منطوون عليه من الخبيث والفساد حتى مزقوا ابدانهم وشوهوا وجوههم ، وقد ظهر للناس انهم امثال الشياطين لكونهم يتلذذون باللعن والخزى ، ويعدون ذلك رفعة لهم ، فتراهم يعدون الحطة مكربة ، والذل عزاً ، والرذيلة فضيلة . لانهم الفوا ذلك . (فن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً) (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

تم بحمد الله تعالى تأليف هذه العجالة في يوم الاحد الموافق ٢٨ من شهر شوال سنة ١٣٥٣ . بقلم مؤلفه حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمي المكّي . واسأله تعالى ان يمدني بعنايته . ويجعل هذا الكتاب مفيداً لابناء ملتي وينفع كافة الخلق به انه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير .

فهرست

الصفحة

الموضوع

- المقدمة في بيان قول فجرة الملاحدة: (ماذا عمل محمد؟ ولو وجد محمد ماذا يعمل؟) ١١
- جواب (لو وجد محمد ولم يكن على وجه الأرض مسلم في العصر الحاضر ماذا كان يعمل؟) ١٤
- جواب (لو وجد محمد ووجد أمامه أربعمئة مليون مسلم ماذا كان يعمل؟) ١٥
- جواب (ماذا كان يعمل محمد أمام الآلات الحربية الحديثة؟) ١٦
- ماذا كان يعمل محمد في الملاحدة؟ ١٨
- لا يحتاج إصلاح المسلمين إلى وجود النبي صلى الله عليه وسلم ولا إلى وجود الخلفاء الراشدين وغيرهم من أبطال الاسلام، ولكن يحتاج الأمر إلى التمشي على الكتاب والسنة ٢٢
- الاسلام فيه نظام العالم والأمم ٢٢
- نظرية الكونت هنري وزير فرنسا، في الاسلام واعترافه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبنزول الوحي وأن القرآن كلام الله ٢٥
- نظرية سيدو أحد وزراء فرنسا في مدنية الاسلام ٢٩
- نظرية جستاف لوبون في اختراعات واكتشافات العرب ٣٣
- نظرية لاين بول بأن العرب هم أساتذة أوروبا في العلوم والمعارف ٣٥
- نظرية اسحاق طيلر رئيس الكنيسة الانجليزية ٣٥
- نظرية واشنطون في القرآن ٣٧
- نظرية الأستاذ (جيبون) في القرآن ٣٨
- نظرية دوزي في الاسلام واعترافه بأن محمد صلى الله عليه وسلم نبي القرآن كلام الله، والعرب أساتذة العالم أجمع ٣٩

٤١	ملاحظة المؤلف على كلامه.....
	نظرية الدكتور فاليري الإيطالية ، في الاسلام ، ونبي الاسلام ،
٤٣	والتشريع الاسلامي.....
٤٩	نظرية داود أركوهات.....
	نظرية ليون روش الفرنسي ، في كون التشريع الاسلامي مبيد للفوضى
٥١	والاشتراكية.....
٥٢	ملاحظة المؤلف على نظريته.....
	نظرية روبرتسن الانجليزي في كون مدينة الاسلام أفضل من مدينة
٥٥	الغرب.....
	نظرية لوثرروب الأمريكي ، واعترافه بأن دين الاسلام دين العدل
٥٦	والحرية.....
	نظرية دروي أحد وزراء فرنسا ، بأن نور الاسلام سطع على العالم
٥٨	أجمع.....
٥٨	نظرية هومبلد واعترافه بأن العرب أساتذة العالم في كل شيء.....
	نظرية دراير الأمريكي بأن الاسلام جاء بالعلوم والفنون والمعارف
٥٩	ومدنيته أرقى من مدينة أوروبا في العصر الحاضر.....
٦٣	ملاحظة المؤلف على نظريته.....
	نظرية سنكس الانجليزي في كون النبي محمد صلى الله
٦٦	عليه وسلم هو الذي رقى العقول واطلقها من قيود الهمجية.....
٦٧	ملاحظة المؤلف في نظريته.....
٦٩	نظرية جول لابوم ، يصف همجية أوروبا.....
٧٠	ملاحظة المؤلف على نظريته.....
٧٣	نظرية جيبون يصف شهامة عظماء المسلمين في انشاء المدارس.....

٧٣	ملاحظة المؤلف على نظريته
٧٥	نظرية نابليون
	نظرية غليوم الثاني في تفضيل الاسلام على الدين
٧٦	المسيحي
٧٧	ملاحظة المؤلف على نظريته
٧٩	نظرية فولتير
	نظرية موسهليم الجرمانى ، واعترافه بان العرب هم
٧٩	اساتذة أوروبا في العلوم والمعارف
	نظرية الدكتور روزيه ، السويسري ، رئيس جامعة
٨٠	لوزان في مدنية الاسلام
	نظرية كنورثي الانجليزي في تفضيل الاسلام على
٨١	المسيحية
	نظرية هنري لاوس الفرنسي في عقيدة السلف
٨٢	والكتب الستة
	نظرية ادوار مونتيه مدير جامعة جنيف في قوة الدين
٨٦	الاسلامي
	نظرية كارليل الانجليزي في الاسلام والقرآن والنبي
٨٩	محمد صلى الله عليه وسلم والتشريع الاسلامي
٩٦	نظرية انسباتو الايطالي
٩٦	نظرية هنردى شامبون الفرنسي
	نظرية المستر ولز ، اكبر كتاب الانجليز في كون
٩٧	القرآن جاء بنظام الدين والدنيا
	ما جاء في دائرة المعارف البريطانية عن حقيقة
٩٩	الدين الاسلامي

محاضرة الاستاذ الشيخ عبدالله كويليام الانجليزي في
دخوله في الدين الاسلامي، وكيف كابد في نشر

الاسلام في بريطانيا؟..... ١٠١

ملاحظة المؤلف على محاضراته وخاتمة الكتاب..... ١٠٦

إصدارات إدارة الشريعة

سلسلة : الكتاب العربي السمودي

صدر منها :

- الجبل الذي صار سهلاً (نقد)
- من ذكريات مسافر
- عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)
- التنمية قضية (نقد)
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نقد)
- الظل (مجموعة قصصية)
- الدوامة (قصة طويلة)
- غداً أنسى (قصة طويلة) (نقد)
- موضوعات اقتصادية معاصرة
- أزمة الطاقة إلى أين ؟
- نحو تربية إسلامية
- إلى ابنتي شيرين
- رفات عقل
- شرح قصيدة البردة
- عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نقد)
- تاريخ عمارة المسجد الحرام (نقد)
- وقفة
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نقد)
- أفكار بلا زمن
- كتاب في علم إدارة الأفراد
- الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)
- طه حسين والشيخان
- التنمية وجهها لوجه
- الحضارة تحد (نقد)
- عبر الذكريات (ديوان شعر)
- لحظة ضعف (قصة طويلة)
- الرجولة عماد الخلق الفاضل
- ثمرات قلم
- بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)
- النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)
- مكانك تحمدي
- قال وقلت
- الأستاذ أحمد قنديل
- الأستاذ محمد عمر توفيق
- الأستاذ عز يز ضياء
- الدكتور محمود محمد سفر
- الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- الدكتور عصام خوقير
- الدكتور أمل محمد شطا
- الدكتور علي بن طلال الجهني
- الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
- الأستاذ أحمد محمد جمال
- الأستاذ حمزة شحاتة
- الأستاذ حمزة شحاتة
- الدكتور محمود حسن زيني
- الدكتورة مريم البغدادي
- الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- الأستاذ أحمد السباعي
- الأستاذ عبدالله الحصين
- الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- الأستاذ محمد الفهد العيسى
- الأستاذ محمد عمر توفيق
- الدكتور غازي عبدالرحمن القصبي
- الدكتور محمود محمد سفر
- الأستاذ طاهر زغشري
- الأستاذ فؤاد صادق مفتي
- الأستاذ حمزة شحاتة
- الأستاذ محمد حسين زيدان
- الأستاذ حمزة بوقري
- الأستاذ محمد علي مغربي
- الأستاذ عز يز ضياء
- الأستاذ أحمد محمد جمال
- الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
 الدكتور فائزة أمين شاكر
 الدكتور عصام خوقير
 الأستاذ عز يز ضياء
 الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
 الأستاذ أحمد قنديل
 الأستاذ أحمد السباعي
 الدكتور ابراهيم عباس نتو
 الأستاذ سعد البواردي
 الأستاذ عبدالله بوقس
 الأستاذ أحمد قنديل
 الأستاذ أمين مدني
 الأستاذ عبدالله بن خميس
 الشيخ حسين عبدالله باسلامة
 الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
 الدكتور عصام خوقير
 الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
 الأستاذ عز يز ضياء
 الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
 الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
 الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
 الأستاذ محمد علي مغربي
 الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
 الأستاذ حسين عبدالله سراج
 الأستاذ محمد حسين زيدان
 الأستاذ حامد حسن مطاوع
 الأستاذ محمود عارف
 الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
 الأستاذ بدر أحمد كرم
 الدكتور محمود محمد سفر
 الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
 الأستاذ طاهر زغشري
 الأستاذ حسين عبدالله سراج
 الأستاذ عمر عبدالجبار
 الشيخ أبوتراب الظاهري
 الشيخ أبوتراب الظاهري
 الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
 الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
 الدكتور زهير أحمد السباعي
 الأستاذ أحمد السباعي
 الشيخ حسين عبدالله باسلامة

- نبض
- نيت الأرض
- السعد وعد (مشرحة)
- قصص من سورست موم (مجموعة قصصية مترجمة)
- عن هذا وذاك
- الأصداف (ديوان شعر)
- الأمثال الشعبية في مدن الحجاز
- أفكار تربوية
- فلسفة المجاني
- خدعتني بجها (مجموعة قصصية)
- نقر المصافير (ديوان شعر)
- التاريخ العربي وديانته (الطبعة الثانية)
- المجازين الجمجمة والحجاز (الطبعة الثانية)
- تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)
- خواطر جريئة
- السنويرة (قصة طويلة)
- رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)
- جسور إلى القمة (تراجم)
- تأملات في دروب الحق والباطل
- الحمى (ديوان شعر)
- قضايا ومشكلات لغوية
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة
- زيد الخير
- الشوق إليك (مشرحة شعرية)
- كلمة ونصف
- شيء من الحصاد
- أصداء قلم
- قضايا سياسية معاصرة
- نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي
- الإعلام موقف
- الجنس الناعم في ظل الإسلام
- ألحان مغترب (ديوان شعر)
- غرام ولادة (مشرحة شعرية)
- سير وتراجم
- المؤذون والمخزون
- لجام الأقلام
- نقاد من الغرب
- حوار.. في الحزن الدافئ
- صحة الأسرة
- سباعيات (الجزء الثاني)
- خلافة أبي بكر الصديق

الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
الأستاذ حسين عبدالله سراج
الأستاذ محمد سعيد العامودي
الأستاذ أحمد السباعي
الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
الأستاذ محمد علي مغربي
الدكتور أسامة عبدالرحمن
الشيخ حسين عبدالله باسلامة
الأستاذ سعد البواردي

• البترول والمستقبل العربي
• إليها .. (ديوان شعر)
• من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء)
• أبياهي
• التلميم في المملكة العربية السعودية
• أحاديث وقضايا إنسانية
• البعث
• شمعة ظمأى (ديوان شعر)
• الإسلام في نظر أعلام الغرب
• حتى لا ننفد الذاكرة

تحت الطبع:

الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
الأستاذ عز يز ضياء
الأستاذ عز يز ضياء
الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
الأستاذ عز يز ضياء
الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
الأستاذ عبدالله بلخير
الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
} الدكتور عبدالمهدي طاهر
الأستاذ ابراهيم هاشم فلال
الأستاذ ابراهيم هاشم فلال
الأستاذ ابراهيم هاشم فلال
الأستاذ ابراهيم هاشم فلال
الأستاذ عبدالله عبدالجبار
الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
الشيخ أبو تراب الظاهري
الأستاذ عبدالله حمد الحقييل
الدكتور محمود محمد سفر
الدكتور سليمان بن محمد الفنام
الدكتورة أمل محمد شطا
الشيخ حسين عبدالله باسلامة
الأستاذ أحمد السباعي
الدكتور محمود محمد سفر
الأستاذ أحمد قنديل

• تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان
• قصص من تاغور (ترجمة)
• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)
• مدارسنا والتربية
• عام ١٩٨٤ لجورج أرويل (قصة مترجمة)
• وجيز النقد عند العرب
• هكذا علمني ورد زورث
• وحي الصحراء

• الطاقة نظرة شاملة
• طيور الأبايل (ديوان شعر)
• عمر بن أبي ربيعة
• رجال الحجاز (تراجم)
• لا رقي في القرآن
• من مقالات عبدالله عبدالجبار
• دعوة ودفاع
• إليكم شباب الأمة
• لن تلحد
• سرايا الإسلام
• رحلات وذكريات

(الطبعة الثانية)

(الطبعة الثانية)

(الطبعة الثانية)

(الطبعة الثانية)

(الطبعة الثانية)

(الطبعة الثانية)

(الطبعة الثانية)

• التنمية قضية
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا
• غداً أنسى (قصة طويلة)
• تاريخ عمارة المسجد الحرام
• خالتي كدوجان (مجموعة قصصية)
• الحضارة تحد
• الجبل الذي صار سهلاً

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية
 - الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)
 - التومن الطفولة إلى المراهقة
 - الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا
 - النفط العربي وصناعة تكريره
 - الملامح الجغرافية لدروب الحبيج
 - علاقة الآباء بالأبناء (دراسة قهية)
 - مبادئ القانون لرجال الأعمال
 - الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية
 - قراءات في مشكلات الطفولة
 - شعراء التروبادور (ترجمة)
 - الفكر التربوي في رعاية الموهوبين
 - النظرية النسبية
 - أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية)
 - المدخل في دراسة الأدب
 - الرعاية التربوية للمكفوفين
 - أعضاء على نظام الأسرة في الإسلام
 - الوحدات النقدية المملوكية
 - الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)
- الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
الدكتور فؤاد زهران
الدكتور عدنان مجوم
الدكتور محمد عيد
الدكتور محمد جميل منصور
الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
الدكتور عبدالمنعم رسلان
الدكتور أحمد رمضان شقلية
الأستاذ سيد عبدالحجيد بكر
الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
الدكتور محمد ابراهيم أبو العينين
الأستاذ هاشم عبده هاشم
الدكتور محمد جميل منصور
الدكتورة مريم البغدادى
الدكتور لطفي بركات أحمد
الدكتور عبدالرحمن فكري
الدكتور محمد عبدالمهدي كامل
الدكتور أمين عبدالله سراج
الدكتور سراج مصطفى زقزوق
الدكتورة مريم البغدادى
الدكتور لطفي بركات أحمد
الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي

نحت الطبع :

- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم
- تاريخ طب الأطفال عند العرب
- المنظمات الاقتصادية الدولية
- الاقتصاد الاداري
- التعلم الصفي
- الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
- الدكتور محمود الحاج قاسم
- الدكتور حسين عمر
- الدكتور فرج عزت
- الدكتور محمد ز ياد حمدان

سلسلة :

رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
- الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول
- الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن
- القصة في أدب الجاحظ
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
- النظرية التربوية الإسلامية
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون
- المقصد العلمي في زوائد أبي يعلى الموصلي (تحقيق ودراسة)
- الجانِب التطبيقي في التربية الإسلامية
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية
- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام
- الدكتور بهاء حسين عزّي
- الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
- الأستاذة أميرة علي المداح
- الأستاذة عبدالله باقازي
- الأستاذة فوزية حسين مطر
- الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- الأستاذ رشاد عباس ممتوق
- الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
- الأستاذ نبيل عبدالحلبي رضوان
- الأستاذة فتحية عمر الحلواني

تحت الطبع :

- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
- دراسة اتنوغرافية لمنطقة الحسا (باللغة الإنجليزية)
- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام
- تقييم النمو الجسماني والنشوء
- العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة
- الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- الأستاذ عبدالكريم علي باز
- الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ
- الدكتورة ظلال محمود رضا
- الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهبي
- الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهبي



مطبوعات
PUBLICATIONS

صدر منها :

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية)
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية)
- التخلف الإملائي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية)
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية)
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية)
- النيش في جرح قديم (مجموعة قصصية)
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك
- الدليل الأمجدي في شرح نظام العمل السعودي
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية)
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية)
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية)
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟
- جهاز الكلية الصناعية
- القرآن وبناء الإنسان
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية
- الطب النفسي معناه وأبعاده
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية)
- مجموعة الخضراء (دواوين شعر)
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)
- ديوان السلطانين
- الامكانيات النووية للعرب وإسرائيل
- رحلة الربيع
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية)
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية)
- الأستاذ صالح إبراهيم
- الدكتور محمود الشهابي
- الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي
- إعداد إدارة النشر بهامة
- (باللغة الانجليزية) إعداد إدارة النشر بهامة
- الدكتور حسن يوسف نصيف
- الشيخ أحمد بن عبدالله القاري
- الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان
- الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- الأستاذ إبراهيم سرسق
- الدكتور عبدالله محمد الزيد
- الدكتور زهير أحمد السباعي
- الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- الأستاذ السيد عبدالرؤوف
- الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدكتور عاطف فخري
- الأستاذ شكيب الأموي
- الأستاذ محمد علي الشيخ
- الأستاذ فؤاد عنقاوي
- الأستاذ محمد علي قدس
- الدكتور اسماعيل الهلباوي
- الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- الأستاذ صلاح البكري
- الأستاذ علي عبده بركات
- الدكتور محمد خليل
- الأستاذ صالح إبراهيم
- الأستاذ طاهر زعخشري
- الأستاذ علي الحارجي
- الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- الدكتور صدقة يحيى مستعجل
- الأستاذ فؤاد شاكر
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الأستاذ جواد صيداوي

تحت الطبع :

- الأستاذ فخري حسين عززي }
 الدكتور لطفي بركات أحمد
 الأستاذ عبدالله أحمد باقازي
 الدكتور حسن محمد باجودة
 الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
 الدكتور جميل حرب محمود حسين
 الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
 الدكتور علي علي مصطفى صبح
 الدكتور محمد عبدالله عفيفي
 الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
 الأستاذ محمد مصطفى هام
 الدكتور حسين مؤنس
 الدكتور حسين مؤنس
 الأستاذ مصطفى نوري عثمان
 الدكتور عبدالعزيز شرف
 الأستاذ مصطفى أمين
 الأستاذة منى غزال
 الأستاذ علي مصطفى عبداللطيف السحرتي
 الأستاذ محمد المجذوب

• قراءات في التربية وعلم النفس

- الموت والابتسامة (مجموعة قصصية)
 • الوحدة الموضوعية في سورة يوسف
 • الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية
 • الحجاز واليمن في العصر الأيوبي
 • ملامح وأفكار
 • المذاهب الأدبية في شعر الجنوب
 • النظرية الخلقية عند ابن تيمية
 • الكشف الجامع لمجلة المنهل
 • ديوان حمام
 • رحلة الأندلس
 • فجر الأندلس
 • الماء ومسيرة التنمية
 • الدفاع عن الثقافة
 • من فكرة لفكرة
 • المجتونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر)
 • الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث
 • ذكريات لا تنسى

كتاب للناشئ

صدر منها :

الأستاذ يعقوب محمد اسحق
 الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- جدة القديمة
 • جدة الحديثة

مجموعة: وطني الحبيب

الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة: حكايات ألف ليلة وليلة : • السندباد والبحر

الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
 الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
 الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
 الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
 الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

الدكتور محمد عبده يماني }
 الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الديك المغرور والفلاح وحاره
 • الطاقية العجيبة
 • الزهرة والفراشة
 • سلمان وسليمان
 • زهور البانونج
 • اليد السفلى

تحت الطبع :

الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
 الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
 الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

- سنبل القمح وشجرة الزيتون
 • نظيمة وغنيمة
 • جزيرة السعادة

كتاب للأطفال

صدر منها :

- الصرصور والنملة
- السمكات الثلاث
- النخلة الطيبة
- الكتكوت المتشرد
- المظهر الخادع
- بطوط وكنت
- الأستاذ عمار بلغيث
- الأستاذ عمار بلغيث
- الأستاذ اسماعيل دياب
- الأستاذ عمار بلغيث
- الأستاذ عمار بلغيث
- الأستاذ اسماعيل دياب

مجموعة : لكل حيوان قصة

- القرد • الكلب • السلحفاة • الأسد • الحمار الأهلي • الفرس • الغزال • الوعل • الضفدع
- الضب • الغراب • الجمل • البغل • الفراشة • الدجاج • الحمار الوحشي • الجاموس • الدب
- الثعلب • الأرنب • الذئب • الفأر • الخروف • البط • البيغاء • الحمامة • الخرتيت
- البوم • البجع • الهدهد • الكفصر
- الخفاش • النعام • فرس النهر • السمح

إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

مجموعة: حكايات كليلة ودمنه

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان
- أسد غررت به أرنب
- المكاء التي خدعت السمكات

تحت الطبع

- لقد صدق الجمل
- الكلمة التي قتلت صاحبها
- سمكة ضيعها الكسل
- قاض يحرق شجرة كاذبة

للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

مجموعة: التربية الإسلامية

- الله أكبر • الصلاة • صلاة العيدين • صلاة المسبوق • الشهادتان • التيمم
- قد قامت الصلاة • الاستخارة • صلاة الجمعة • أركان الاسلام • الوضوء
- صلاة الاستسقاء • صلاة الجنازة • صلاة الكسوف والخسوف

نقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

مجموعة: حكايات للأطفال

- سعاد لا تعرف الساعة
- الحصان الذي فقد ذيله
- تورتة الفراولة
- صيوف نار الزينة
- الضفدع العجوز والعكبوت

Books Published in English by Tihama

- **Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.**
By: F. M. Zahran
A.M.R. Jamjoom
M.D. EED
- **Zaki Mubarak: A Critical Study.**
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- **Summary of Saudi Arabian
Third Five year Development Plan**
- **Education in Saudi Arabia, A Model with Difference Second Edition'**
By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- **The Health of the Family in A Changing Arabia**
By Dr. Zohair A. Sebai
- **Diseases of Ear, Nose and Throat**
By: Dr. Amin A. Siraj
Dr. Siraj A. Zakzouk
- **Shipping and Development in Saudi Arabia**
By Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- **Tihama Economic Directory.**
- **Riyadh Citiguide.**
- **Banking and Investment in Saudi Arabia.**
- **A Guide to Hotels in Saudi Arabia.**
- **Who's Who in Saudi Arabia.**